الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-
كلية الأدب العربي و الفنون

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات شهادة الماستر في " اللسانيات و تحليل الخطاب "
الموسومة بـ:

أثر السياق المقامي في تفسير القرآن الكريم

من إعداد الطالبة :
بلمختار حياة

تحت إشراف الأستاذة :
الدكتورة بن قبلية مختارية

السنة الجامعية : 2015 - 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

" وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)"

دعـــــــاء

يارب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت،ولا أصاب بالسأسإذا فشلت، بل ذكرني دائماأن الفشل هو التجارب التي سبقت النجاح

يارب علمني أن التسامح هو أول مراتب القوة ،وأن حب الانتقام هو أول مراتب الضعف

يارب إذا جردتني من المال فاترك لي الأمل ، وإذا جردتني من النجاح فاترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل ، وإذا جردتني من الصحة أترك لي نعمة الإيمان

يارب إذا أسأت إلى الناس أعطيني شجاعة الاعتذار وإذا أساء الناس إلى اعطيني شجاعة العفو ،وإذا نسيت ذكرك فلا تنساني

"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت عليم الحكيم"

شكـــــــر و تـقدير

إن الشكر لله نحمده و نستعينه الذي تفضل علينا بنعمة العلم ، ثم وفقني في إنجاز هذه المذكـــرة و توفقت إلا بإذنه .

كما نفرد شكرا خاصا لمن كانت موجهة أستاذة وأختا طوال مسيرة هذا العمل الأستاذة الفاضلة المحترمة المؤطرة "بن قبلية مختارية"

التي قدمت لي المساعدة وأرشدتني بتوجيهاتها فجزاها الله كل الخير وأطال في عمرها ونشكر كل أساتذة الأدب العربي الذين رافقوني مسيرتي الجامعي ، أعترف لهم بالجميل ونسأل الله أن يعينهم على أداء هذه المهمة النبيلة لأنه لولاهم لما وصلت إلى هذا المستوى .

وتشكراتي بكل من أعانني الإنجاز من قريب أو بعيد

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا مالت الشمس إلى الغروب وزالت الهموم عن القلوب وجلست أفكر في القريب والبعيد فأرجو أن تكوني لي في ذكرى نصيب يدق عالم النسيان ويذكر الأصدقاء والأحباء

أهدي ثمرة جهدي إلى من أنار دربي وتملكي ، محمد صلى الله عليه وسلم إلى التي وهبتني حياتها ومنحتني السعادة وحرمت نفسها منها وعانق دمعها ألم فراقي فكان بها سر بصيرتي إلى من رعتني صغيرة وباعت حياتها لتجنب التعب والشقاء لأجلي وكنت عندها الحلم والمنى والمستقبل أمي الحبيبة خيرة

وإلى من أخذ بيدي إلى المدرسة ليرسم معالم مستقبلي إلى من يعود الفضل بوصولي إلى ما تمنيت أبي العزيز جلول

إلى أعظم شجرة في الحياة.....أيتها الوردة في الوجود إليك أسرتي إخوتي عبد الله وزوجته شهرزاد وأبنائهم حبيبو،هديل ،نسيم وعابد ، وحميد إلى أخواتي نصيرة ،اسمهان اتمنى لها النجاح في شهادة البكالوريا و إلى مامة وزوجها منصور وأولادها نصيرة ،عبد القادر،أمينة ،خيرة أتمنى لهم النجاح في إمتحاناتهم وإلى فوزية وزوجها زاهر وابنهما أحمد و إلى أختي الياقوت وزوجها البشير وابنتهما أنفال وإلى عائلة بلمختار كبيرا وصغيرا إلى من جمعتني بهم روابط المحبة والمودة إليكم صديقاتي حليمة ،فاطمة الزهراء ،لويزة ،بشرى ،حسيبة ،سلطانة ، سمية ، حنان ،فاطمة ،فاطمة،فضيلة،أمال . وإلى الزملاء والزميلات تخصص اللسانيات وتحليل الخطاب دفعة 2016

وإلى روائد معرفتي.....متابع علمي إليكم أساتذتي خاصة الأستاذة المشرفة بن قبلية مختارية

و إلى كل من يعرفني أو تعرف علي وإلى من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على بعثة الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن الكشف عن الدلالة لا يكمن في وضوح المفردات اللغوية ووظائفها على مستوى التركيب، وهذا الأخير ترتكز مفرداته على معان عدة، مما يعيق فهمنا لدلالة المصطلحات على مستوى التركيب، وذلك افتقادا للعنصر الاجتماعي الذي يعد عنصرا من عناصر الدلالة، كل هذا لا يوصلنا إلى المعنى الحقيقي للدلالة، ولكي نصل إلى المعنى الكامل يتطلب الولوج إلى العناصر الأساسية للمعنى الدلالي.

فالنظريات اللغوية ترتكز أو تقوم على الحدث اللغوي للكلام وتجريده عن سياقه، وبتطورها ألقت النظر على النص باعتباره وحدة كاملة، وعليه فنظرية السياق بدورها تربط كل هذه الدراسة بإطارها السياقي للوصول إلى المعنى الحقيقي للدلالة المنشودة، فالنظرية إذا تعد ركنا من أركان الدرس اللغوي ولهذا اكتسبت أهمية كبيرة جعلت كل من العرب والغرب يضعونها منهل ومصب دراستهم، فللسياق دور مهم في تحديد المعنى الدلالي للجمل والكلمات وتهتم النظرية بأثر التمييز بين كثير من الصيغ الصرفية وجل هذه الأسباب جعلت لهذه النظرية أهمية بالغة في الدرس اللغوي. وينقسم السياق إلى سياق لغوي وآخر مقامي، وهو محور حديثي في هذه المذكرة تطبيقا في تفسير القرآن الكريم الذي أحاطه العلماء بعناية فائقة لم يحط بها كتاب في الأرض، فعلماء التفسير مثلا اجتهدوا في تحديد معناه واستعانوا في ذلك بالمقام والمقال ومجاورة الكلمات لبعضها، وملابسات الحال في أسباب النزول وفق ضوابط منهجية صارمة وسبب النزول يوازي سياق المقام في كلام الناس، وكل هذا العمل حرصا منهم على فهم كتاب الله فهم السلف الصالح في كل زمان وأي مكان، ويجمع علماء اللغة على أن الكشف عن دلالة النص لا يقتصر على وضوح المفردات اللغوية ووظائفها الصوتية والصرفية والمعجمية على مستوى التركيب فحسب بل لا مناص من اللجوء إلى عنصر المقام أو سياق الحال، ومنه تتراود في أذهاننا الأسئلة التالية: ما مفهوم السياق؟ وما أهميته عند كل من العرب والغرب؟ وما مفهوم السياق المقامي؟ وما هي سبل التوصل إليه؟ وما هي مستوياته؟ وما هو أثره في الخطاب القرآني؟

للإجابة على هذه الأسئلة اتبعنا الخطة الآتية والمتمثلة في أننا استهللنا بحثنا هذا بمقدمة للموضوع ثم قسمناه إلى فصلين تضمن الفصل الأول مفاهيم عامة حول نظرية السياق والذي شمل ما يلي:

- مفهوم نظرية السياق

- أهمية السياق عند العرب
- أهمية السياق عند الغرب
- أنواع السياق

أما الفصل الثاني فخصصناه لتبيان دور السياق المقامي في تفسير القرآن بحيث تضمن ما يلي:

- تعريف المقام
- تعريف سياق المقام
- طرق التوصل إلى سياق المقام ثم مستوياته
- أثر السياق المقامي في تفسير القرآن، وتضمن السياق المقامي في تفسير الصحابة للقرآن.

وفي الأخير ختمنا بحثنا هذا بخاتمة ملمة ببعض النتائج المتحصل عليها من هذا البحث. وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها لسان العرب لأبي منظور، نظرية السياق دراسة أصولية للزنكي نجم الدين كريم قادر، ونظرية السياق بين المحدثين والقدامى عبد الله أبو السعود تفسير الصحابة،معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي بحيث أننا قمنا بتبيان أثر السياق المقامي في تفسير القرآن من طرف الصحابة والمفسرين.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أتناء إنجاز هذا العمل، ولعل أهمها مسألة ضيق الوقت.

و في الأخير أشكر الأستاذة المشرفة د. مختارية بن قبلية التي ساعدتني على إتمام هذه المذكرة.

الفصل الأول: مفاهيم عامة حول نظرية السياق

1-المبحث الأول: السياق

توطئة:

يعتمد البحث الدلالي على مجموعة من الوسائل التي يحاول عن طريقها دراسة البنية الدلالية في اللغات وهي وسائل لغوية وغير لغوية تساعد على تحديد المعنى. ومن أسسه دراسة المجالات الدلالية وتحديد السمات الفارقة بين الكلمات التي يضمنها كل مجال من هذه المجالات والتي من بينها السياق.

1-1تعريف السياق أ-لغة: جاء في لسان العرب أن السياق من ساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها.والسّياق المهر.قيل للمهر سوق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا لأنها كانت غالبة على أموالهم، وضع السوق موضع المهر وإن لم يكن إبلا وغنما، وقوله في الرواية: ما سقت منها، بمعنى البدل كقوله: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ**﴾، أي بدلكم وأساقه إبلا أي أعطاه إياها يسوقها: والسَّيِّقة من الشيء فساقه؛قال:

وهل أنا إلا مثل سيّقة العدا

إنا استقدمت نَجْرٌ، وإن جبأت عَقْر؟

ويقال لما سيق من النهب فَطرد: سيّقة، وأنشد البيت أيضا:

وهل أنا إلا مثل سّيقة لعدا

الأزهري: السّيّقة ما استاقه العدو من الدواب مثل الوسيقة.

الأصمعي: السَّيق من السحاب ما طردته الريح، كان يسوق أصحابه أي يقدمهم ويمشي خلفه.وساق سياقا: نزع بها عند الموت.ويقال: فلان في السياق، أي في النزع.والسياق نزع الروح، ويقال دخل سعيد على عثمان وهو في السَّوق أو في سياق الموت أي النزع كأن روحه تساق لتحرج من بدنه[1]. ونستنتج من هذه

1-ابن منظور. لسان العرب، المجلد العاشر، حرف القاف، دار الصادر بيروت ط 1، 1990، ص 166-167.

المعاني أن كلمة ساق تثير في معنى لحوق شيء لشيء آخر كما أنها تثير معنى الارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد.

ب–اصطلاحا: يعرف ستيفن أولمن السياق بقوله: "...وكلمة السياق contextقد استعملت حديثا في عدة معان مختلفة والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة في معناها التقليدي أي: "النظم اللفظي للكلمة وموقعها في ذلك النظم. ونفهم من معاني هذه العبارة إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل –لا الكلمات والجمل الحقيقةالسابقة واللاحقة فحسب–بل والقطعة كلها والكتاب كله، وينبغي أن يشمل بوجه من الوجوهكل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير لغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمات هي الأخرى أهميتها بالغة في هذا الشأن[1].ومن خلال هذا التعريف نستشف أن السياق المقصود هنا ذو جانبين مختلفين ومتكاملين في تركيب نظريتنا اللغوية هذه بحيث لا يخرج عن كونه تركيبا أو نظما لغويا[(2)]:

–الأول: خارج عن التركيب اللغوي متجاوز لحدوده.

–الثاني: فيقل أهمية عن النظم اللفظي في تحديده معاني الحدث اللغوي وهذا النظم يسمى السياق المقامي.

"وكلمة السياق كثيرة الدوران في البحوث اللغوية، تناولها الباحثون في الدلالة بمعنيين مختلفين، يمكن تحديدهما في أمرين هما السياق اللغوي linguistique contexteعكس السياق الاجتماعي social contexteويسمى عند فيرث firthباسم contexte of situationأي سياق الموقف وعند palmerبالمر nonlinguistic contextأي السياق غير اللغوي، وهناك باحثون يستخدمون كلمة السياق بدون تمييز بين السياق اللغوي من جانب والسياق الاجتماعي من جانب آخر.

ويشمل السياق اللغوي العلاقات التي تتخذها الكلمة في داخل الجملة وهذه العلاقات الأفقية syntagmatic relationعلى عكس العلاقات الجدوليةparadigmatic relationوهي العلاقات الاستبدالية التي تتخذها الكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحل محلها"[3].

1ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب مصر، دط، سنة 1990، ص55.

2يراجع المرجع نفسه، ص105.

3يراجع حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، سنة 2005، ص101.

السياق هو النسيج اللغوي الذي يحيط باللفظة عند ورودها في العبارات والتراكيب، والنسيج. فالسياق له دور كبير في إبعاد كثير من المعاني الجزئية، أو إنه يعطي الكلمة معان مختلفة لايمكن للمعجم أن يدركها. ألا حينما تدخل في السياق فإن معناها لا يسمى معجميا نظرا إلى أن السياق يجعل الكثير من القرائن الحاليةالتي تعطي الكلمة من المعاني ما لا يرد على بال صاحب المعجم[1].وفي هذا المقام يقول "فندريس"إننا حين نقول إن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد تكون قضايا بالانخداعإلى حد ما إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلى المعنى الذي يعنيه سياق النص أما المعاني الأخرى فتمحى ولا توجد إطلاقا[2].

لقد أولى اللغويون القدامى والمحدثون عناية بالغة لمعاني الكلمات وأبرزوا دور السياق في تحديدها، وأوضحوا أن الكلمات لا تدل بنفسها على شيء، بل إن حقيقتها وكنهها وقيمتها تكمن في السياق الذي ترد فيه وهو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها لأنها توجد في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، كما أنه يزيل دلالتها الماضية التي تراكمت في الذاكرةفيخلق لها قيمة حضورية[3].والسياق هو مجموعة الظروف الطبيعية والاجتماعية والثقافيةوالنفسية التي يوجد ضمنها ملفوظ أو خطاب، وترى اللسانيات أن السياق هو مجموع العناصر (الصوتية، والصرفية، والتركيبية)التي تسبق أو تلحق وحدة لسانية داخل ملفوظ معين.

لذلك فالكلمة لا يبحث عن معناها بل عن استعمالها، لأن لها معنى أساسيا وآخر سياقيا، والسياق هو الذي يوضح الغرض المقصود الذي من أجله وظفت هذه الكلمة أو تلك، ومن ثم لا للجملة في بعض الاستعمالات فقد يوظف في الحديث العادي مثل: "أنا لم أقصد ذلك"أو "كنت تقصدني"أو"تعني بكلماتك"، أو "قلت لي تلك الكلمات بطريقة كذا أو كذا"، ولا تكون واضحة الدلالة إلا في ضوء السياق الذي ترد

1يراجع حسين الصالح، المرجع السابق، ص 103.

2يراجع صائل رشيدي، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2004،ص15.

3يراجع فندريس اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة، سنة 1952، ص213.

فيه.ويرى جورج ماطوري في هذا الصدد إنّ الكلمة ليست منعزلة، بل أنهاترتبط في السياق بمجاورة الكلمات التي تكون معها علاقات مختلفة مثل القرابة[4]

4يراجع أحمد عزوز، علم الدلالة بين القديم والحديث، جامعة وهران، سنة 2007،ص93

نستخلص من كل هذا أن السياقهو كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابساتمن أجل تحديد المعنى المقصود.ذلك اختلفبعض العلماء في تسميته،ومنهم من جعله عبارة عن سياق لغوي، وسياق اجتماعي، وسياق موقف، أو سياق غير لغوي. وهناك من يستعمل السياق دون اللجوء إلى السياق اللغوي الذي يشمل العلاقات التي تتخذها الكلمة داخل العبارات فتكتسب دلالة. وكذلك السياق يبعد المعاني الجزئية لأن كل كلمة لها معان كثيرة لكن بورودها في جملة معينة نتعرف على المعنى المقصود دون أي صعوبات.لذلك كما سبق الذكر:إن الكلمة لها عدة معان إذ يجب البحث عن استعمالها. فالسياق هاهنا هو الذي يوضح الغرض المقصود.

1-2 نظرية السياق:

يطلق اللغويون على أتباع هذه النظرية المدرسة الاجتماعية الإنجليزية وهي التي يتزعمها العالم اللغوي"فيرث"وقد تأثر هذا الأخير كثيرا بنظريات العالم الأنثروبولوجي البولندي "مالينوفسكي". Malino[1]ويرى أصحاب هذه النظرية أن معنى الكلمة لايمكن تحديدهإلا من خلال استعمالها في السياق ومن هذا المنطلق كان من اللازم عندهم لدراسة المعنى أن يدرسوا السياقات التي ترد فيها الكلمة سواء أكانت هذه السياقات لغويةأم كانت غير لغوية. وتأسيسها على ذلك فقد يتعدد معنى الكلمة الواحدة بتعدد السياقات التي وردت فيها وهم بذلك ينفون أن يتحدد المعنى برؤيةالمشار إليه أو وصفه أو من خلال تعريفه[2].

إذا كان المنشئ له يلجأ إلى العناصر اللغوية المتناثرة قصد تشكيل كل متكامل بموجب تقتضيه جدلية انصهارها في بنية متكتلة قصد إفادة مخصوصه، فإن هذا لا يعني ارتباط الوظيفة الإخبارية بما تقضيه تلك البنية فقط، إنما قد ترتكز على بعض الملابسات التي يمليها السياق لأن الأحداث اللسانية "لا تقع في عزلة، بل لها علاقات مطردة بأحداث أخرى خارج اللغة[3]".وفي الحقيقة أن أهل اللغة يعلمون أن تحقق المعنى بصفة عامة لا

1محمود السعران ، علماللغةمقدمة للقارئ العربي،دار الفكر العربيالقاهرة،سنة1962،ص338

2يراجع كريم حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة،مكتبة النهضة المصرية ، ط3 ، سنة 2000 ، ص 249

3محمد حسن عبدالعزيز، مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، 2000، ص 207

يسير إلا وفق ضوابط، منها ما هو لغوي، ومنها ماهو غير ذلك، كتلك المتعلقة بدرجة الانتباه عن المستقبل ومستواه الثقافي بالإضافة إلى السياق الذي ترد فيه والظرف الذي تصدر فيه[1].

ولهذا قد يبدو غريبا القول إن تأثير عناصر الموقف الخارجي في استعمال اللغة يبلغ سبعين في المائة 70%من درجة تأثير الكلام في مواقف الخطاب مرجعها إلى ما يكون من النظرات المتبادلة عند الحدث، وأن قيمة الدلالة التعبيرية وتأثيرها يتدنيان إلى ثلاثين في المائة 30%فحسب إذا اقتصر الأمر على مجرد كلام منطوق. تحيلنا هذه السطور إلى أهمية السياق، ودوره في بسط اللغة لسلطانها الإخباري وهذا الجوهر أضحى من الركائز الهامة التي اعتمدت عليها بعض النظريات اللسانية الحديثة في التفسير، كما نجد أن النظرية السياقية تقوم على النظر إلى المعنى بوصفه "وظيفة في السياق" وقد أحدثت بذلك تغييرا جوهريا في النصوص التي تقع فيها، وترتبط المعاني السياقية المجردة بالجمل والمعاني السياقية الكامنة بالقولة الكامنة.فإذا ما تحققت تلك السياقاتفي المقام التخاطبي المعني فالناتج هو قولة فعلية.[2]

ومن هذا نستخلص أن أصحاب النظرية السياقية يرون:إنّ الكلمة لها عدة معان والسياق هو الذي يكشف عن المعنى المقصود أو المراد الوصول إليه ومن هذا على حسب رأيهم أن لدراسة المعنى يجب أن يدرسوا السياقات التي ترد فيها، والنظرية السياقية تنظر إلى المعنى كوظيفة سياقية وترتبط المعاني السياقية بالجمل.ومن هذا فإن نظرية السياق تقوم بالبحث عن المعنى إذأن الكلمة لا تؤدي معناها منعزلة عن السياق الذي وردت فيه.

1-3ظروف نشأة النظرية السياقية:

و"يمثل هذه المدرسة توجهات لسانية نشأت بشكل متنقل من اللسانيات البنيوية. انطلق أحدهما من الإنجليزي جون روبرت فيرث(ت1960) وانطلق الآخر من جهود العالم الصوتي"دانيال جونز" أما الاتجاه الأول فتمثله نظرية في اللغة متميزة نسبت إلى المستشرق والباحث الصوتي الإنجليزي "فيرث"وفي الحقيقة لم يشهد الدرس اللساني الإنجليزي تطورا نوعيا ومنهجيا إلا على يده.فهو الذي طور نظرية السياق الحال التي تعنى بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي.أما الاتجاه الثاني فقد قدم فيه

1يراجع عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني، منشورات جار الأديب، ص83

2يراجع المرجع نفسه، ص84-85

"دانيال جونز"دراسة للفونولوجيا بطريقة متميزة عن طريق الفونولوجيين حيث اعتمد على منهج الوصف المادي الذي يهتم في دراسته للفونيم بطبيعة الفيزيائية ولا يهتم بوظيفته"[1].

نستخلص من هذا أن النظرية السياقية نشأت من اللسانيات البنيوية بحيث انطلق البعض من فيرث الذي تطور الدرس اللساني على يده بحيث أنه طور سياق الحال الذي يعنى بالجانب الدلالي للغة الطبيعية وانطلق البعض الآخر من"دانيال جونز"الذي اهتم بعلم الأصوات واعتمد على المنهج الوصفي المادي الذي يهتم بدراسة أصغر وحدة للصوت وهي الفونيم.

1-4المصاحبةcollocation:

ما سماه "فيرث"firthبالمصاحبة "collocation" هو الترابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة في جمل تلك اللغة"[2]. وهي تعني ارتباط الكلمة بمعنى أو مدلول ما وتبدو أهمية المصاحبة في كونها المحدد الأساسي لمعانيالمفردات اللغوية، فبعض معاني كلمة شجاع مثلا تتحدد بمصاحبتها لكلمة رجل، وبعض معاني كلمة رجل تحدد مصاحبتها لكلمة شجاع، وبذلك أصبح مصطلح تصاحبي collocationمرادفا، كما ذكر"لايتر"literمصطلح معجمي الذي ارتبط في أذهان الكثيرين بما تدل عليه الكلمة خارج اللغة[3]. فمصطلح المصاحبة ها هنا هو مصاحبة كلمة بمدلولها أومصاحبة معنى أوصفة ما بمدلول ما وهذا المدلول له معنى حتى وإن عكسنا المدلولين يجوز المصاحبة بمعنى أوضح مثلا نقول: الرجل شجاع كالأسد. ويمكن القول: شجاع ذلك الرجل ويعني هذا أن كلمة شجاع يتحدد معناها بمصاحبتها بكلمة رجل والعكس صحيح.

1-5النظرية اللسانية للمدلول:

إن المنهج الأساسي الذي يعتمد للكشف عن دلالة صيغة ما يتمثل في حصر السياقات التي ترد فيها حصرا واسعا من خلال مدونة لتحديد قيمة الصياغة، وقد كان "مايبه"يرى إنه لا يتحدد معنى الكلمة إلا من خلال معدل استخدامها فقط[4].

1أحمد عمر المختار، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، سنة 1988، ص 14.

2محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، سنة 2004، ص30

3المرجع نفسه، ص31

4يراجع سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتين ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية الجزائرية، ص31

لقد لاقت هذه النظرية قبولا ورواجا حتى اعتقد البعض أنه ليس لأي كلمة دلالة أو معنى خارج السياق، وهذا يؤيد رأي الذين ينكرون الترادف، وقد تحدث عن ذلك علماء العرب قديما مثل: "أبي الهلال العسكري"في كتابه "الفروق في اللغة"ولكن هل من الممكن حصر السياقات فعلا؟ قد يكون صعبا جدا إن لم يكن مستحيلا، ولذلك ميز الدارسون بين ضربين من الدلالة: الأول منها: ذلك المعجمي الذي يقدمه لنا مصنفو المعاجم، والثاني: هوالمعنى أو الدلالات السياقات، وهناك تسميات ومصطلحات مختلفة تدور حول هذين الطرفين بحسب اختلاف المدارس والاجتهادات[1].

والحقيقة أن السياق يلعب دورا كبيرا في تحديد المعنى خاصة إذا كانت الوحدة صالحة للدلالة على أكثر من معنى.لكن لا يمكن اعتماد السياق وحده كما أنّ "الكلمة خارج السياق لا معنى لها البتة مبالغ فيه، فلا شك أن هناك معنى واحدا على الأقل تحمله الكلمة بشكل أساسي أو مركزي وينبثق عنه معان أخرى خلال السياق الكلامي، وإن كان هناك بعض الكلمات التي من الصعب أن تحدد لها معنى خارج السياق، مثل كلمة (عملية) التي تحتمل أن تكون عملية جراحية أو حربية أو حسابية، ويحدد السياق عند تلك المعنى المراد، فقد تكون العملية عند اللصوص أو المهربين (عملية السطو)[2].

1-6مزايا النظرية السياقية:

"لعل من أهم مزايا هذه النظرية موضوعيتها، وعدم خروجها عن بقية اللغة والسياق الثقافي المحيط بها.وقد سنح منهجها السياقي الطريق للمهتمين باللغة أن يوجهوا اهتماماتهم إلى العناصر اللغوية نفسها والأنماط التي تنتظم فيها بدلا من صرف انتباههم إلى العلاقات النفسية بين اللغة، والذهن أو اللغة والخارج، أوإلىالعملية النفسيةالتي تحدث في الدماغ وكذا فإن العناية بالسياق تعني مراعاة سمة من أهم السمات المتأصلة في طبيعة اللغة وهي السمة التراكمية للعناصر اللغوية إذ يتسنى للمهتمين باللغة من خلال رصد أهمية هذه السمة وتطبيقاتها أن يكشف الدور الذي يؤديه تسلسل العناصر اللغوية، وتفاعل بعضها البعض في عمليتي الفهم والإفهام الضرورية في عملية التخاطب اللغوي، ومن مزايا هذه النظرية أيضا تركيزها على الجوانب الوظيفية

1يراجع أحمد شامية، في اللغة دراسة منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ للنشر والتوزيع الجزائر، ص152

2يراجع المرجع نفسه، ص153

في اللغة التي تعدالجوانب الأهم نظرا إلى أن الوظائف اللغوية هي التي ابتكرت من أجلها اللغة البشرية بوصفها أهم الوسائل الإبلاغية على الإطلاق"[1].

1-7أهمية السياق:

يقوم السياق في كثير من الأحيان بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها. وفي القديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة"لكل مقام مقال"فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما.لذلك ركز النحاة على اللغة المنطوقة فتصبح الكلمة لا معنى لها خارج السياق.

تعد نظرية السياق من أفضل المناهج لدراسة المعنى بحيث يمكننا القول إن لهذه النظرية جذور ضاربة في القدم، إذ ترتقي إلى الأبحاث التي تتصل بالفيلولوجيا، والفيلولوجيا علم أدبي ولغوي في آن واحد، وتتناول دراسة النصوص القديمة بقصد تأويلها وتفسيرها بدقة.

السياق كما سبق الذكر يقوم بالدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، وأشار العلماء في القديم إلى مدى أهميته. أما المنهج الأساسي الذي تعتمده هذه النظرية فهو الكشف عن دلالة صيغة لغوية ما،ويتمثل في حصر السياقات التي ترد فيها الصيغة حصرا واسعا في مدونة معينة فهذا ما يمكننا في غالب الأحيان من تحديد قيمة هذه الصيغ كما يمكننا من رفع اللبس والغموض، ولذلك فإن هذه الطريقة بالفعل مقاربة صورية وموضوعية للمعنى. ويعود الفضل في ذلك إلى ماييه في استثمار المكتسبات الفيلولوجية التي صاغها في نظرية مشهورة: "لا يتحدد معنى الكلمة إلا من خلال معدل استخدامها".يقول"فيتجشتاين": "ليست للكلمة دلالة بل إن لها استعمالات ليس إلا"أما"مارتيني" فإنه يقول: "خارج السياق لاتتوفر الكلمة على معنى"،وهنا يؤكد كل من ماييهفيتجشتاين ومارتيني على أهمية السياق[2].

ومما سبق، نرى:إن وصف وضبط دلالة الوحدة اللغوية إنما يقوم على تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها أي(توزيعها على حسب مصطلحات البنيويين الأمريكيين)وإن هذه الأطروحة بالرغم من صرامتها، إلا أنها

1محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 31-32

2سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ص31، مدخل إلى علم الدلالة، ص31

تنطوي على فائدة عظمى كما أنها تخبرنا عن واقع الاستعمالات اللغوية إخبارا جيدا، علما أن الطفل والكهل لايتمثلان ولا يحددان معنى الوحدة اللغوية إلا بواسطة استخدامها في السياقات جديدة.

وفضلا عن هذا فإن هذا المنهج يبرهن على عدم وجود الترادف المطلق بين الكلمات لأننا نجد في صلب المدونات الواسعة سياقات تمييزية تجبرنا على استعمال إحدى الكلمات التي تبدو في الظاهر ذات معنى واحد[1] وعلى الرغم من الصرامة التي يتوفر عليها إلا أن هذا المنهج له حدود وتتمثل فيما يلي:

أ – لتحديد معنى وحدة لغوية ما يجب من الوجهة النظرية حصر جميع السياقات التي ترد فيها حصرًا واسعا، وضبط قائمة الوحدات الدلالية الأخرى التي يمكن أن تألف معها. بيدأنه لما كان المعجم اللغوي عبارة عن قائمة واسعة جدا ومفتوحة على الدوام، فإن إنجاز وحصر هذه السياقات قد يتعذر بلوغها.

ب- إن تصريح كل من فيتجشتاين ومارتيني مبالغ فيه لأن الكلمة خارج السياق تتوفر على قيمة واحدة على الأقل.

ج- إنه حتى في حال توفرنا على مدونة واسعة يتعذر علينا الاهتداءإلى السياقات التي تمكننا من التمييز بين الكلمات المتقاربة المعنى مثال (مأجور)، و(عامل).

لقد لفت المنهج السياقي من حيث مظهره الصوري، نظر بعض اللسانيين التوزيعيين الذين وجدوا فيه وسيلة لولوج المعنى، وذلك يتحاشى اللجوء إلىاستنباطحس المتكلمين اللغوي.

وقد اعتمد هذا المنهج من قبل "هاريس"Harisبخاصة، من خلال منوال النحو التحويلي ويرى هذا اللساني إن الوصف اللساني يجب أن يولد منوالا صوريا قادرا على إنتاج كل السلاسل الكلامية السليمة من حيث النحو والممكنة إنتاجا واستبعاد السلاسل غير السليمة التي تخلو من المعنى.

وفي الأخير نخلص إلى أن النظرية السياقية طريقةخصبة وصارمة تخبرنا عن واقع الاستعمالات اللغوية بطريقة واضحة وسليمة، لكن لاتقوى بمفردها على الإحاطة الشاملة بدلالة أي صيغة لغوية[2].

1-8الانتقادات الموجهة للنظرية السياقية:

1سالم شاكر، المرجع السابق،ص 32

2يراجع طاهر سليمان حمودة، المرجع السابق، ص 214

تكمن الانتقاداتالموجهة للنظرية السياقية في مبالغة دور السياق في صنع المعنى إلى الحد الذي أغفلت معه الوظيفة الإحالية، والإشارية للمفردات، والجمل اللغوية حيث أسقطت من حسابها ما تحيل عليه الكلمات من صور ذهنية، وما تشيرإليه من حقائق خارجية على مستوى الكلمات، كما أنها تجاهلت النسبة الخارجية أواشتراطات الصحة للجملة التي تبرز أهميتها في دراسة العلاقات بين المفردات المعجمية، وكذلك بين الجمل اللغوية، وذلك مثل الترادفوالتضمين والعكس، والتضاد والتناقض وغيرها.وبدلا من أن تقتصر هذه النظرية على المهمة الترجيحية التي تبدو في تحديد الدلالة المقصودة، وإقصاء الدلالات غير المقصودة تراها تجعل من السياق المنبع الوحيد الذي تستقي منه العناصر اللغوية دلالاتها. مثلا فالكلمة ليست"كالماء الذي يخضع لونه للون إنائه، وإنما هي كالحرباء التي تتلون بلون المكان التي تحل فيه، أي أن الكلمة أشبه بالحرباء التي كلما وضعت في مكان معين تغير لونها وكل منها يبرز في موضعه المناسب، وليست كالماء الذي لا يملك شيئا من تلك الإمكانات، وإنما يخضع بما يفرض عليه من الخارج"[1].

2-المبحث الثاني: نظرية السياق عند العرب.

توطئة: كان لعلماء العرب القدمى دور في الوعي بالسياق من خلال تبيانه للدلالة، مستندين في ذلك إلى وعيهم بجملة من المفاهيم والأفكار والرؤى التي تحيط بالعملية اللغوية، فبنوا الوظيفة الوصفية للغة descriptive fonctionوكذلك رصدوا الوظيفة التعبيرية للغة expressive fonctionحيث أفاضوا في الوظيفة الاجتماعية للغة social fonctionولم يغب عنهم أن هذه الوظيفة تتحد في الظروف المقامية التي تحيط باللغةومن أبرزها الظروف الاجتماعية الملامسة للعملية اللغوية، وإذا أردنا أن نبين إدراك علمائنا القدامى للسياق ودراسته مع تبيان دوره في بيان الدلالة لابد من الولوج إلى وجهات النظر لبيئة هؤلاء العلماء لتعدد مشاربهم المعرفية واهتماماتهم العلمية، التي تصب على الرغم من تعددها في الأطروحات والمفاهيم، إلا أنها تلتقي في نقطة مصبها واحد يؤكد اهتداء هؤلاء العلماء للسياق ودراسة جوانبه، مع إبداء أهميته في الدرس الدلالي، بما لم يردعليه المعاصرون إلا ترتيبا وتصنيفا، أما الإطار العام للسياق ودوره في تحديد الدلالة، فللقدامى العرب فضل السبق والريادة، ويمكن إجلاء وتأكيد ذلك من خلال لفت النظر إلى دور كل فريق من علماء العرب في دراسة السياق على وفق اهتمام كل فئة منهم وتخصصها العلمي والمعرفي، وفي هذا

1براجع محمد محمد علي يونس، المرجع السابق، ص 106

الصدد سنبدي ونتعرف على كل الدراسات التي قاموا بها.وفي المبحث الآتي دراسة تندرج تحت عنوان السياق عند البلاغيين وهذا ما سنتطرف إليه لنعرف كيف تعاملوا مع السياق[1].

2-1 السياق عند البلاغيين:

انصب اهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة مقتضى الحال والعلاقة بين المقام والمقال وهو الشق الاجتماعي من شقي السياق العام، فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الدعاء وغير ذلك، وعبارتهم المشهورة "لكل مقام مقال"وهذا ضروري في تحليل المعنى. والواضح أن أهل المعاني اهتموابأحوال المتكلم والمستمع والتعريف ويقتضي أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع وإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه "السياق اللغوي"فإننا نجد أن البلاغيين قد أولوه عناية كبيرة. ووضح تمام موقفهم فيما قدموه من دراسات تضييقية لضروب الكلام ونصوصه الإبداعية وعليه فمن البلاغيين نذكر الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري الذين درسوا المقام وكان محل اهتمامهم وعليه سنرى كل من هؤلاء كيف تعاملوا مع المقام في دراستهم[2].

2-1-1 السياق عند الجاحظ: "هو من المتكلمين المعتزلة، تطرق للمسائل البلاغية على الرغم من أنه لم يؤلف كتابا خاصا بمواضيع البلاغة وأبوابها، ولكن آراءه في كتابه "البيان والتبيين"و"الحيوان"وردت متفرقة ويرجع له الفضل في تأسيس البلاغة، فوصف العرب بالفصاحة والقدرة على القول في كل غرض ...فقد وصفوا فأجادوا الوصف ولقد تمادوا في الهجاء، ووصف النزاع والقتال بين القبائل"[3].

ومن أهم المسائل البلاغية التي تطرق إليها الجاحظ في كتبه خاصة "البيان والتبيين" مسألة مطابقة الكلام بمقتضى الحال، فمن بلاغة الكلام مطابقته كما يقتضيه الموضوع مع مراعاة حال المستمع حيث أكثر الجاحظ من الإشارة إلى هذه القضية البلاغية والتأكيد عليها، ولقد عدت أصل من أصول البلاغية، وهكذا فمطابقة الكلام بمقتضى الحال عنده هي وجوب تحري الموضوع واختيار ما يلائمه من ألفاظ وفي ذلك يقول: "ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف

1يراجع هادينهر، تقديم علي محمد، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن(د، ط)، سنة 2008، ص266.

2يراجع تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم تاكتب القاهرة ط3، 1993، ص337

3عائشة حسن فريد، منهج البحث الدلالي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997، ص69

والخفيف للخفيف، والزجل للزجل والإفصاح في موضع الإفصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال"[1].

لقد تأثر الجاحظ بصحيفة"بشر ابن المعتمر" التي كان أثرها ملموس في البلاغة العربية ونقلها في "البيان والتبيين"وشرحها فاعتنى فيها بمسائل هامة والذي يهمنا فيها هو ما أقره على أن أساس البلاغة يكون مطابقة الكلام بمقتضى الحال إذ أن "المعنى ليس شرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك لا يتضح بأن تكون من المعاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب من كل مقام مقال"[2].

2-1-2السياق عند عبد القاهر الجرجاني:

درس عبد القاهر الجرجاني البلاغة دراسة معمقة فوضع "علم البيان والمعاني"أما النظرية الأولى فجاءت مفصلة في كتابه "دلائل الإعجاز"وأما النظرية الثانية فخص بهاكتابه "أسرار البلاغة".إن الكتابين يدوران حول نظرية واحدة هي نظم الكلام وترتيب معانيه فأحدهما يؤكد جانب بناء الكلام وصلة معانيه ببعضها البعض وثانيها يؤكد الجانب التأثيري من هذه المعاني وبيان مسالكها إلى النفوس. ومن هنا يتبن لنا أن الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" تناول تفسير إعجازالقرآن البلاغي ويرده إلى فصاحة الكلام، وليس هذا بمعنى حسن اللفظ والمعنى ومايتصل بذلك من الصور البيانية، وإنما بمعنى الأداء والنسب النحوية للكلام ثم تيقن أن كلامه فصاحة لا تدل دلالة دقيقة على هذا المعنى، ومنه ما أشار إلى ذلك بكلمة النظم التي استرسل في شرحها، وشرح ما يحوي فيه من المعاني الإضافية للكلمات من تعليق بعضها ببعض وترتيبها حسب مجراها في النفس بحيث يصبح لها مقامات وأحوال خاصة ومضى يصور ذلك تصويرا جميلا يتسع فيه التحليل لتلك المعاني الإضافية الموجودة في السياق، بحيث عده مؤسس علم المعاني بلا منازع.

وفي الأخير نجد أن الجرجاني يدعو إلى ضرورة التمييز بين الحروف المنظومة والكلم. فيقول في هذا الصدد ما نصه: "ومما يجب إحكامه، الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلمات منظومة. وذلك أن نظام الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن المعنى، فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال ربض

1الجاحظ، "الحيوان"، مج3، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، دط، دس، ص39

2براجع عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط1، ص29

مكان ضرب لما كان ذلك يؤدي إلى فساده، أما نظام الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم فيه حال المنظوم بعضه ببعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيءإلىالشيء كيف جاءواتفق"[1].

ثم نجده يشرح مفهوم نظم الكلام ووصفه بتعلق الكلام بعضه ببعض فقال: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضهابعض وينبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله غافل ولا يخفى على أحد من الناس[2].وعلى هذا الأساس أصبح النظم عند الجرجاني المحور الأساسي الذي تنسب إليه كل أبواب البلاغة، فقد استطاع أن يربط بين اللفظ والمعنى وأصبح أي تعبير في نظم الكلام يعد تعبيرا بالضرورة في المعنى المصور.ونظريته بناها على النحو لأن سر البلاغة هو تآخي معنى النحو وارتباط بعضها ببعض وهو في ذلك يبين الوضع الذي يقتفيه علم النحو في كيفية تطبيق نظرية النظمفي أدق مناهجها حيث يراعي في الأسلوب ما يتطلبه الحال كحال الجمل مع بعضها البعض من حيث الوصل أو الفصل[3].فيقدم ويؤخر ويعرف وينكر وما شبه ذلك لمقتضيات الحال ومتطلبات المقام، كما نجده في مقام آخر يربط بين نظام الكلام ونحوه في قوله: "وإذا قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليست لها غاية تقف عنده ولا تجد لها ازدياد بعدها، ثم اعلم أن المزية بواجبه لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق ولكن يعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقعها بعضها من بعض ... وهو على هذه الشاكلة لا يرمي إلى النحو في علاماته الإعرابية وإنماالمراد به هو النحو البلاغي الذي يطابق مقتضى الحال"[4]. **2-1-3السياق عند الزمخشري:** أسهم الزمخشري في التقاطع مع ما قدمه سابقوه حيث استوعب كل كتب الجرجاني "دلائل الإعجاز"وبنى عليها كتابه "الكشاف".إن دراسات الزمخشري تقوم على علمين أساسيين مختصين هما: علم المعاني وعلم البيان، فبالنسبة لعلم المعاني فتعرض فيه للإيجاز والإطناب وأغراضهما البلاغية، والتقديم والتأخير في المسند إليه والأغراض المستفادة منه في حالة تعريفه وتنكيره وهذا هو حال مقتضيات الأحوال ومتطلبات المقام، ولقدعرض المعاني الزائدة التي تخرج كل منها عن معناها الحقيقي

1-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، دت، ص35

2- المرجع نفسه، ص38

3-عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص64

4عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص96

للدلالة عليها فحركية المقام ابتدأت عند الزمخشري من حيث انتهى عبد القاهر الجرجاني في تطبيق نظريته تطبيقا علميا حيث تصورت لنا نزعتهالبلاغية فيتفسيره وإن عنايته تنصب أكثر ما تنصب على بيان النسق أو النظمفي القرآن، وهكذا سلك هؤلاء العلماء في طريق الوصول إلى هذه الصيغة بنظرية النظم.ومما تجدر الإشارة إليه أنه مهما وصل النظم إلى أرقى مستوى كان في الشعر أو النثر فهو دون نظم القرآن الذي فاق كل مستويات الإعجازلنظمه وسموبلاغته التي كانت فوق مقدور الإنس والجن لقوله تعالى: "**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**[1]".

فنستطيع أن نقول في هذا الصدد إنه لم يفرغ بكتابة مستقلة خاصة بالبلاغة وإنما أخذ يكشف عن أسرار بعض القضايا البلاغية أثناء تفسيره للقرآن الكريم وهكذا برزت عنايته حول نظم القرآن أي أسلوبه، وقد وصل إلى ذلك بإحساسه المرهف وذوقه الدقيق في التحليلات، ومن هذا النظم والذوق تكمن البراعة في التأليف الكلام وبراعة الصنعة حسب الأغراض، فيتجلى لنا بذلك مناط الجمال والروعة في الأدب العربي وعناصر الإعجاز والتأثير في القرآن الكريم[2].

2-2السياق عند الأصوليين: يبدو عند الأصوليين تمثل واضح لعناصر اللفظية والاجتماعية وأثرها في تحديد المعنى. فاللغة عندهم ظاهرة اجتماعية تؤدي دورها في حياة المجتمع لتلبية حاجات الإنسان، كما تنبهوا على أنها نظام من العلامات والرموز، وأنها أرقى من غيرها لأن التعارف يتم بأسباب كحركات وإشارات وألفاظ توضع إزاء المقاصد. ولا يفتأ الأصوليون ينبهون في كثير من المواضيع إلى أن الألفاظ المفردة والتراكيب تتعرض بسبب السياقات اللفظية والمقامية المختلفة لألوان من التعبير الدلالي، فيؤكدون على ضرورة الاستعانة بالسياقيين اللفظي والحالي أو ما تسميه نظرية السياق بالموقف الكلامي بجميع عناصره.

وتدل دراستهم للقرائن المخصصة للعام على إدراكهم الداعي لعناصر السياق أو الموقف الكلامي، وأثرها في تحديد المعنى، وهي قرائن حالية كالحس والعقل والعرف أي العادة، وقرائن اللفظية تشمل السياق اللفظي بمعناه الضيق الذي يشمل الآيات والنصوص المتتالية فيتجه الأصوليون إلى دراسة أسباب النزول وكذلك مواقف ملابسة لنصوص الحديث الشريف لما في ذلك من كشف عن المعنى على وجه الدقة.

1سورة الإسراء: الآية 88

2الزمخشري، الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1دار الفكر، بيروت، ط1، 1983، ص108

ودراسة الأصوليين للمعاني المتعددة ترد بصيغة الأمر تكشف عن إدراكهم لأثر السياقيين اللفظي والحالي في تحديد المعنى المراد، ذلك أن بحثهم لاستعمالاتها اللغويةقد وفقهم على نحو ستة عشر معنى للصيغة بحسب السياقات المختلفة وإن كانت بعض هذه المدلولات أكثر استعمالا من بعض. وبالرغم من اعتبار الأصوليين لأثر القرائن اللفظية والحالية في الكشف عن المعنىإلا أنّ هذا لا يمنع دراسة الصيغ أوالألفاظ بمعزل عن القرائن ومهمته وهذا ما نبهنا من طرفهم إلىأن مواضيع كثيرة من الخلاف بينهم ناتجة عن ذلك. لكن الخلاف يبقى حول دلالة اللفظ والعبارة أو الصيغة بمعزل عن القرائن. ويبلغ الاعتماد على السياق بمعناه الواسع مدى كبيرا في بحث الأصوليين بطرق الدلالة لاسيما ما يسمى بفحوى الخطاب أو مفهوم الموافقة حيث يفهم من العبارات معان كثيرة مما تدل على ظواهر ألفاظها،وأعمال هذا المفهوم منوط عند الأصوليين بالسياق[1]. وقوله تعالى: "**ولا تقل لهما أف**"[2]يفهم منه النفي عن كافة أنواع الأذى بالنسبة للوالدين وليس النفي عن كلمة أف فقط والذي يبني ذلك هو سياق الآيات التي تأمر بالإحسان والمخاطبة بالقول الكريم فضلا عن الوقوف عن مقصد الشارع بالنسبة للوالدين من نصوص كثيرة أخرى.فعلى سبيل المثال هناك بعض النصوص تدل على اعتبار الأصوليين للسياق بمعناهوإجلائه بصورة دقيقة كما تدل على إدراكهم للعناصر اللغوية والاجتماعية، والغزالي يتحدث عن وسائل فهم خطاب الشارع فيذكر "إن طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة وان تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرين إلى اللفظ، وللقرينة إما لفظ مكشوف ...وإماإحالة على دليل العقل ...وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتحسين يختص بذكرها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد أو توجب ظنا ... وعند مفكري صيغة العمومالأمر يتعين تعريف الأمر والاستعراف بالقرائن"[3].

يوضح الغزالي في نصه أن لفهم المعنى المراد لابد من المعرفة السابقة للغة التي يتكلم بها حتى وان كان العارف بتلك اللغة في بعض الأحيان لا يفهم إلابقرين إلى اللفظ أو ما يساويهأو ما يسمى بالمصاحبة.وبمعنى أكثر وضوحا إن بعض الأحيان هناك بعض الألفاظ لا يفهم معناها إلا عند مصاحبتها بألفاظ أخرى تفهم

1-طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين ص226-227

2- سورة الإسراء الآية 22

3يراجع طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين ص 230

بكل سهولة وهذه الألفاظ تكون واضحة عن طريق الإشارةأو الرموز وتسمى بالقرائن أوالأحوال وهنا لابد من الشاهد فينقلها بألفاظ صريحة حتى يفهمها ويصل إلى معرفة المراد وغلاة السياقيين يرون بالنسبة للاتجاهات الأصولية في دراسة المعنى إن صيغة العمود لا دلالة لها أصلا على العموم وإن هذه الدلالة نابعة من سياق الموقف الكلامي "ويذهبون إلىأن العموم المستفاد من ألفاظ القرآن ويعبر ابن قيم عن أهمية السياق في دراسة المعنى قائلا: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعد احتمال غير المواد وتخصيصه العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ..."[1].

وفي الأخير نستنتج أن الأصوليين وقفوا على عناصر السياق المختلفة بشقيها اللفظي والاجتماعي ونبهوا إلى ضرورة الاستعانة بما في الكشف عن المعنى وتحديده وهم بذلك يتفقون من حيث الجواهر مع نظرية السياق الحديثة.

2-3السياق عند المفسرين:

"يتميز النص القرآني عن سائر النصوص المكتوبة بالخوصصة الصوتية التي حفظت لنا بطريقة أدائه ومواضع الوقف والوصل وغير ذلك مما أثر في تحديد المعنى ويشترط في المفسر إتقان علوم النحو والمعاني والبيان لأنه يعرف بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادة المعنى وبالتالي خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها"[2]. هنا يتضح أن النص القرآني يختلف عن النصوص الأخرى بالخوصصة الصوتية، يعني قراءتهوتلاوته، وهنا يسهل طريقة أدائه ومعرفة مكان علامات الوقف والوصل وغيرها من العلامات والبيان والنحو وهذا الأخير لأن كل تغيير في حركة الإعراب تؤدي إلى تغيير المعنى وبالنسبة للبديع فلتقوية المعنىوإعطائه رونقا وجمالا وتحسين الكلام،أما البيان فلوضوح الدلالةوإخفائها مثل الاستعارة بنوعيها والكناية وغيرها. هذا من الجانب اللغوي ويتصل بسياق الحال معرفة أسباب النزول وهي الأحداث والوقائع الملامسة للنص القرآني ولاشك أن استحضارها يعين على فهم الآيات وهو ما ينبه إليهأئمة التفسير، ففائدة معرفة أسباب النزول هي:

1يراجع المرجع السابق، ص231

2جلال الدين السيوطي. الإتقان في علوم القران .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .دار التراث القاهرة ص114

"جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حالة البناء المحكم المتلائمالأجزاء"[1]

إن هذه الشروط التي اشترطت في المفسر تكشف لنا عن إدراك المفسر الواعي لعناصر السياق اللفظية والحاليةوأثرها في الكشف عن المعنى والوصول إلى الوجه الدقيق.

3-المبحث الثالث: السياق عند الغرب:

3-1جون فيرث: حياته

ولد جون فيرث في مدينة يورشير البريطانية 1890 ودرس التاريخ قبل أن يلحق بالخدمة الوطنية وقد استقر بالهند مدة طويلة وتعلم بعض اللغات الشرقية، وكان يعتقد بأن تطوير أي نظرية لغوية لا يكون إلا بالمعرفة الدقيقة للصوتيات الحديثة. درس الانجليزية بجامعة البنجاب بداية من سنة 1919 ثم رجع إلى جامعة لندن وعين فيها بمعهد الصوتيات وفي سنة 1928 انتقل إلى كلية اللسانيات للدراسة الشرقية الإفريقية مدرسا لمقياس الدراسات الإفريقية. ساهم في الاعتراف باللسانيات العامة علميا أكاديميا في الجامعات البريطانية منذ سنة 1944 وبذلك كان أول من درس هذا المقياسوأول من منح رتبة أستاذ كرسي في اللسانيات العامة ببريطانيا[2].

3-2منبع نظرية فيرث:

شاع في بداية الدراسات اللغوية الحديثة عناللساني الأمريكي "بلوم فيلد" أندراسة الدلالة ليست مهمة خارج نطاق اللسانيات فحسب بل فوق طاقتها أيضا ولكن جاء من اهتم بدراستهاوأرادأن يجعل منها علما قائما بذاته، واعتبر دراسة الدلالة هي المهمة الرئيسة للسانيات الوصفية، علما أن اللغو بين الذين أرادوا دراسة الدلالة قد اختلفوا اختلافا كبيرا في تعريف المعنى وبيان المراد به ويرجع هذا الخلاف إلى: اختلاف مناهج البحث في اللغة عندهم. فمن هؤلاء اللغويين من نهج منهج العقليين أو النفسيين ومنهم من سلك طريق السلوكيينوآخرون اختاروا ما سموه بالمنهج اللغوي، وهذا الأسلوب اللغوي المحض هو ما سارت عليه المدرسة التي

1بدر الدين الزركشي. البرهان في علوم القران مج1 تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار التراث القاهرة ط3 ص 36
2أحمد عزوز. علم الدلالة بين القديم والحديث. جامعة وهران رقم الايداع القانوني 4333 -2007 ص 94

يرأسها الأستاذ فيرث ولكي نفهم الدلالة عنده ينبغي أن نرجع مباشرة إلى الاطلاع على أفكار زميله برونيسلو ملیناوسكي bronislowmolinawsky الأنثربولوجي البولندي والذي استخلص من مالينوفسكي أن اللغة تعمل كأدة تواصل[1].

3-3النظرية الفيرثية (النظرية السياقية عند جون فيرث):

لقد حدد فيرث السياق واعتمد فيه على الأنثروبولوجي المشهور مالينوفسكي الذي ارتبطت به فكرة السياق من قبل ويرى إنّللغة وظيفة"اجتماعية مهمة والسلوك اللغوي العادي في عمومه يعد جزءا من العملية الاجتماعية"أو هو"طريق العقل والتنفيذ في الحياة" ولهذا السبب يؤكد على أهمية الرجوع إلى المقام أو الموقف الكلامي أو ما يسمى بالقرائن الحالية وتتمثل تلك في جميع ملابسات النص وظروفه[2] وكذلك يرى إن اللغة ليست كما يقال في التعريف التقليدي وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات بل يرى إنها نوع من السلوك الإنساني وضرب من العمل تؤدي وظائف كثيرة غير التواصل[3]وأصبحت النظرية الفيرثية واسعة النفوذ وذات قيمة كبيرة في دراسة المعنى وتميزت بالشكلية في عنايتها بالحقائق اللغوية وفقا للصور الشكليةوأنماط الصيغ الكلامية في التركيب أي أن نظرية فيرث كانت تهتم بالمعنى الحقيقي والمقصود في الجملة واللغة عند فيرث هي وظيفة اجتماعية وهذه الأخيرة تعد أهم شيء للغة ومن هذا المنطلق نستطيع أن نفهم هذه النظرية في المعنى[4]. كما طرحت نظرية فيرث بعض الأركان نذكر منها:

1 – وجوب تحدد كل تحليل لغوي على ما يسمى بالمقام أو سياق الحال أو المجرى وهو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي وهذه العناصر هي:

أ. الكلام الفعلي نفسه.

ب. شخصية المتكلم أو السامع وتكوينها الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام من غير المتكلم أو السامع إن وجدوا وبيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي وهل يقتصر دورهم على الشهود أم يشاركون في

1المرجع السابق، ص94

2جيفري سامبسون. المدارس اللغوية. التطور والصراع ترجمة احمد نعيم الكراعين بيروت ط1 1993 ص 236

3محمد سعد محمد. في علم الدلالة. الناشر مكتبة الزهراء.الشرق ط2 سنة 2007 ص 37

4طاهر سليمان حمودة. دراسة المعنى عند الاصوليين.الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ص 214

الكلاموالنصوص التي تصدر عنهم. ومن كل ما يتعلق بالمتكلم أو السامع أو غيرهما أي الشهود ومشاركة الشهود في الكلام والنصوص التي تصدر عن المتكلم والسامع إنأمكن

ت. الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام وموقفه أي لكل مقال مقام.

ث. أثر الكلام الفعلي من المشتركين أي كيف يؤثر عليهم كالإقناع أوالألمأوالإغراءأو الضحك.

ج. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة كمكان الكلام وزما1هـ والوضع السياسي.

2 – وجوب النظر إلى الكلام اللغوي لأنه مكون من أحداث لغوية مركبة ومعقدة وتحليله على هذا المنهج أيسر وأسلم حيث تقود كل مرحلة إلى التي قبلها في سهولة ويسر[1]فهذه الاستعمالات مرتبطة بالمقام الذي يرد فيه الكلام والذي يحدد بواسطة قرائن متعددة وقد عبر عنه البلاغيون القدامى بمقولتهم الشهيرة "لكل مقام مقال" فمثلا كلمة عملية يفهم المتلقي معانيها المختلفة من السياق الذي توظف فيه فهي ترد تارة مرتبطة بالطبيب (عملية جراحية) ومرة بالعسكري (عملية عسكرية) وطورا بآخر بالتاجر وغير ذلك من المعاني فلولا السياق هاهنا لبقي المتلقي في حيرة يصعب عليه معرفة المعنى المراد أو المقصود[2].

وعلى هذا الأساس فالسياق هو دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي تظهر فيه "فلا يمكن فهم أي كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها"أي الكلمة الواحدة لا معنى لها ولكن ارتباطها بالكلمات الأخرى في التركيب أو النصوص تحدد معناها الحقيقي وبطريقة سليمة وتيسر الفهم للمتلقي لبلوغ ما هو مقصود.

مثلا دلالة كلمة "ضرب" مطلقة لأنها غير مرتبطة بسياق تعبيري أما ورودها في السياقات المبنية هاهنا فإنه يعطينا أوضاعا ومعانٍ مختلفة مثل:

- ضرب الولد قطة.
- ضرب الأستاذ مثالا عن التاريخ.
- ضرب الرياضي رقما قياسيا جديدا.

---

[1] ستيف اولمان. دور الكلمة في اللغة العربية. ترجمة كمال بشر مكتبة الشباب مصر 1990ص 50

[2] أحمد عزوز. علم الدلالة بين القديم والحديث جامعة وهران. رقم الايداع القانوني 4333.2007 ص 95

فالفعل هاهنا واحد في التركيب لكنه اتخذ دلالات متعددة ولدتها السياقات المختلفة التي ورد فيها[3].

وكذلك نجد الفعل أكل في الآيات القرآنية الآتية:

قال تعالى: "**وقالوا ما لهذا الرسول يكل الطعام ويمشي في الأسواق**"[4].

ويعني هنا التغذية للإنسان، وهنا لم ينف صفة البشرية وكذلك نجد الفعل أكل في قوله تعالى: "**أيحب أحدكمأن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**"[1]فكلمة أكل في هذا السياق تعني الغيبةوأيضا في قوله تعالى: "**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا**"[2] هنا أتت على معنى الحرام وقال تعالى: "... **كلوا واشربوا هنيئا**"[3] وهنا بمعنى كل ما هو مباح أكله ويطلق على المعاني التي تكتسبها الكلمة من السياق المعاني الإيجابية في مقابل التصريحية أوالأساسية وسماها "هياكوا" Hayakowa المعاني الاتساعية في مقابل القصدية. ويرتبط الاتساع بالظروف النفسية والاجتماعية والتاريخية[4].

3-2نظرية السياق عند ستيفنأولمان:

يعتبر ستيفنأولمان من المؤيدين لفكرة السياق خاصة في كتابه "دور الكلمة في اللغة" ولكن كان تأييده مع شيء من التحفظ على من بالغ فيه مبالغة جعل منه المنبع الأولوالأخير لإصدار وانتقاء معاني الكلام وأزاح المعنى أو المعاني المركزية التي تشير أو تحيل إليها الكلمة قبل ورودها في السياق وهذا ما لم يكن لو أن هؤلاء اعترفوا بفكرة الفصل في الكلام واللغة التي يستعملها الدارسون من قبلهم مثل أوجدن وريتشارد وغيرهم من تبع أفكار دي سوسير، ولكن مشايعي نظرية السياق يذهبون إلىأبعد من هذا وكثيرا ما يرددون القول بأن الكلمات لا معنى لها وهذا عندما استعمل كلمة يكون معناها هو المعنى.يقول القائل: "لها على الإطلاق خارج مكانها من النظم الذي اختاره لها فقط ولا أكثر ولا أقل" وعلى هؤلاء يرد "إن الذين ينادون بهذه الآراء ينسون الفرق

3نور الهدى لوشن. إلياذة الجزائر.دراسة دلالية دكتوراه. معهد اللغة العربية وآدابها. جامعة الجزائر 1990 ص 129

4سورة الحجرات الآية 12

1-سورة النساء الآية 10

2-سورة الحاقة الآية 24

3-سورة الفرقان الآية 07

4- موريس أبو ناصر. مدخل إلى علم الألسني. مجلة الفكر العربي المعاصر. مركز الإنماء القومي الكويت العدد 18/18 1982 ص 31

بين الكلام واللغة وهذا الفرق يتمثل في أن السياقات إنما تكون من مواقف فعلية للكلام وعني هنا البيان حينئذ أن معاني الكلمات مخزونة في أذهان المتكلمين والسامعين لا تحظى بالدقة والتحديد إلا حينما تضمها التراكيب المنطوقة ولكن هل هذا يعني أن الكلمات المفردة لا معنى لها على الإطلاق وكيف تصنف المعاجم إن لم يكن لهذه الكلمات معانٍ.إننا لا نذكر كثيرا من الكلمات التي يعتبر البعض أنألوانها المعنوية غالبا ما تكون غير محددة تحديدا دقيقا ولكن هذه الكلمات لابد وأن يكون لها معنى أو عدة معان مركزية وثابتة. هذه القضية مسلم بها على وجه العموم ولكن عدم وضوح الفرق بين الكلام واللغة قد أعاق كثيرا من العلماء على منح الكلمات المفردة نصيبها.ونستشف من هذا أن ستيفن أولمان كان مؤيدا لفكرة السياق لكنه أبقى شيئا منها، ويرى إن الكلمة المفردة ليس لها معنى، حقا هناك كلمات ليس لها معنى إلا بعد تواجدها داخل السياق وهذا لا يعني أن كل الكلمات خارج السياق ليس لها معان.وينتهي ستيفن أولمان إلىأنّ:نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى وقد أفادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن فإنها قد أحدثت ثورة في طريق التحليل الأدبي اللغوي[1].

إنأهمية السياق تتمثل في غايته بالشق الاجتماعي للمعنى وهو ما يسمى بالسياق الحال لان إجلاء المعنى على المستويات اللغوية الصوتية والنحوية والمعجمية لا يعطيها إلا المعنى الحرفي وهو معنى فارغ من محتواه الاجتماعي والثقافي منعزل عن القرائن، ولذلك كان من الضروري العناية به ومن ثم فإن المعنى الدلالي يشمل جانبين: أولهما يتمثل في المقالوالآخر في سياق الحال أي الشق الاجتماعي المصاحب له،فالعبارة المتداولة مثلا: "أهلا وسهلا" تقال عادة للترحيب.ولكن قد يفهم منها مواقف كلامية مختلفةغير ذلك فحين يقولها الرئيس لموظفيه الذين حضروا متأخرين عن موعد عملهم بطريق معينة فإنها تدل على التوبيخ ونجدها في كثير من النصوص لكن من الصعب فهمها على الوجه الدقيق عند قطعها عن السياق الحالي، وهذا ما أكده اللغويون المحدثون[2].فالسياق في هذا النحو أو في هذا التفسير ينبغي أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من الظروفوالملابسات والعناصر اللغوية وغير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرىأهميتها البالغة في هذا الشأن[1].

1يراجع ستيفن أولمان. دور الكلمة في السياق، ص 50

2يراجع المرجع نفسه، ص50

1محمد سعد محمد. في علم الدلالة. الناشر. ص 38

3-3- نظرية السياق عند مالينوفسكي:

حياته: ولد مالينوفسكي في سنة 1942 وهو بولندي الأصل ذو أصولأرستقراطية قام ببحث ميداني حول الثقافة البدائية في جزر نزويرياند في شرق غينيا الجديدة واكتسب سمعة عالية وشهرة كبيرة في تسمية الكتب لأن قليلا من الباحثين بنيت أبحاثهمالأكاديمية الجافة بعناوين مغرية[2].

يرى مالينوفسكي إن الكلمات ليس لها معان إنما لها استعمالات. ثم إن هذه الاستعمالات تخرج بالكلمات من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك ولذلك قال أصحاب نظرية السياق مقولتهم الشهيرة "لا تبحث عن معنى الكلمة وابحث عن استعمالاتها" وقد استدل بعضهم بهذا الرأي بأن قالوا "إن الترجمة الصحيحة لا تتم من خلال المعاجم بل من خلال معرفة المترجم بالكلمات في استعمالاتها وسياقاتها المختلفة" لأن الاستعانة في الترجمة بالمعاجم هاهنا يؤدي إلى معرفة المعنى الحرفي للكلمة وهذا غير كاف لأنهعلى المترجم أن يكون ذو معرفة بالكلمات في استعمالاتها وسياقاتها المختلفة،وهنا توصل مالينوفسكي العالم الأنثروبولوجيإلى عدة نتائج مهمة في هذا المجال هي[3]:

1. إن التعريف الذي كان سائدا للغة على أنها التوصيل الصوتي للأفكار لم يعد تعريفا ذا قيمة. لأنه لا يصلح لجانب معين من اللغة وهي اللغة المستعملة في قاعات الدرس أو في مناظرات المثقفين.
2. إن اللغة ليست علاقة مقابلة للفكروإنما هي نمط من النشاط يتميز بما يتميز به أي نشاط اجتماعي تعاونيآخر.
3. إن الطرق اللغوية لا تفهم في حد ذاتها ولكنها تفهم في سياق الحال ويضم كل ما هو شخصي وثقافي وتاريخي. بل يفرض معرفة الوضع الفيزيقي الذي تم فيه الكلام بين المتكلمين.
4. إن استعمال الأشكال اللغوية والكلمات والجمل تفهم من السياق وعلى اللغوي أن يشرحها في هذا الإطار وإن علاقة المعنى لا ينبغي أن نفهم على أنها علاقة ثنائية بين اللفظ وما يشير إليه بل على أنها مجموعة من العلاقات متعددة الأبعاد وهي أساس العلاقات الوظيفية بين اللفظة في الجملة وسياقات حدوثها.

2أحمد عزوز. علم الدلالة بين القديم والحديث، ص 94

3محمدي سعد محمد، في علم الدلالة، ص39

5. يترتب على ذلك أن الاختلاف بين الألفاظ في اللغات ليست اختلافات عالمية. فلكل لفظة منها ما يقابلها في لغة أخرى ولكن المهم هو أن ندرك أن اللفظة تعتمد على ثقافة المجتمع والترجمة الممكنة فقط عندهم في السياق الثقافي.
6. إن اللفظة ليست هي الوحدة الأولى للمعنىوإنما الجملة. فالجملة هي التي تنطق وتفهموالألفاظ ليست إلا متخرجات من المعاني ومن الوظائف السياقية ومن الجمل وكل ما يمكن للمعاجم عمله هو أن تلخص هذه المستخرجات[1]كما نجد أن مالينوفسكي اعتبر أن اللغة أداة تخدم أغراض المجتمع المعين وتؤدي وظيفة نقل الأفكار والانفعالات في نطاق ما يعرف بسياق الحال (المجريات) وأوضح فكرته عن المعنى باللجوء إلى مفهوم السياق استنادا إلى ما قام به الأوروبيون حين ترجمتهم كلام التروبيا الذي هو كلمة مقابل كلمة ورأإنه لا يمكن فهم كلامهم المنطوق إلا من خلال طريقة حياتهم والسياق الذي يشكل جزءا منها.

وترتبط فكرته بموضوع الترجمة والمعاجم الثنائية إذ لا يمكن الاعتماد على الترجمة الحرفية أو المقابل الحرفي للكلمات دون مراعاة السياق الذي نشأت فيه الكلمةوتبلورت في خضمه والذي تستخدم فيه وهذا قصد إعطاء ما يقابلها ولذلك كانت دراسة كلمات لغتين أوأكثر مستعملتين في الترجمة أمرا ضروريا.

واستعان مالينوفسكي بمفهوم سياق الموقف والذي ابتكره حينما واجهته مهمة ترجمة مفردات وجمل من النصوص الأنتوغرافية في الجزر النزويرانيدية شرقي غينيا الجديدة إلى لغة انجليزية مفهومة فطور على إثرها نظرية سياق الموقف التي تعين الباحث على استيعاب معاني المفردات والجمل بالرجوع إلى معاينه الوظائف التي تؤديها في السياقات الموقفية الخاصة التي تستعمل فيها، وحسب مالينوفسكي فإنه ما أتينا بشخص أوروبي إلى مجتمع بدائي وزودناه بترجمة حرفية للكلام المتفوه به فلا يستطيع أن يدرك معناه إلاإذا كان واردا في السياق الذي جرى في إطار الحديث وفي الجو العام الذي يكون جزءا من معناه واستخلص من هذا أنه من الضروري أن توضع كل ألفاظ الكلام في سياق الموقف لفهم المعنى الحقيقي لها[2]

4-المبحث الرابع -أنواع السياق:

1عبده الراجحي. فصول في علم اللغة دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية ص 76

2المرجع نفسه،ص76

الملاحظ أن السياق ترادفه مصطلحات في الاستعمال في بعض الكتابات هي المقام ومقتضى الحال وسياق الموقف. ولا تختلف مفاهيمها لدى الكثير من اللغويين. ولعل هذا هو الذي جعل بعض الباحثين يقترح تقسيما للسياق يشمل كل ما يتصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية وظروف اجتماعية.وخصائص وسمات ثقافية ونفسية وغيرها. فجاء تقسيم السياق إلى ما يلي[1]:

- السياق اللغوي.
- السياق العاطفي.
- سياق الموقف.
- السياق الثقافي.

4-1السياق اللغوي: وهو الذي يرتبط بنظام اللغةوكلماتها وترتيباتها المختلفة. وقد دعاه "هاليداي" Halliday بالرصف أوالتساوق ويؤكد معنى الكلمة الدقيق الذي يتحدد من خلال معطيات الاستعمالالفعلي وردودها مع مجموعة من الكلمات والعناصر التي تقع معها في السياق اللغوي يقبله بناء اللغة.فالسياق اللغوي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، متجاورة وكلمات أخرى مما يكسبها معنى خاصا وجديدا.فالمعجم يقدم معنى عاما. ومتعددا ومتصفا بالاحتمال. على حين أن السياق يحدده ويضع له حدودا واضحة ويميزه ويخصصه بسمات غير قابلة للتعدي والاشتراك والتعميم، ومن الأمثلة على ذلك كلمة "منصهر" فهي ترتبط بمجموعة من الكلمات. نحو الحديد والنحاس والذهب والفضة ولا ترتبط بكلمات أخرى نحو التراب والخشب والجلد والملح وعلى هذا يتحدد معنى كلمة منصهر من جهة ويعرف أنها لا ترد في السياق اللغوي مقبول مع المجموعة الثانية من الكلمات من جهة أخرى[2]كذلك عندما ترد كلمة "عين" في العربية. وهي من المشترك اللفظي في سياقات لغوية متعددة يتبين للدارس ما تحمله من معان مختلفة باختلاف كل سياق ترد فيه. فكل سياق ترد فيه كلمة "عين" يقدم معنى واحد يتجه إليه الإفهام ويترك ما سواه. فلا يقع أي اشتراك في السياق الواحد، مثلا في قولنا[1]:

- عين الطفل تؤلمه: هنا تعني حاسة البصر.

1يراجع نور الهدى لوشن. إلياذة الجزائر. دراسة دلالية ص 136

2يراجع أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص296

- في الجبل عين جارية: هنا تعني عين الماء.
- هذا عين العدو: هنا تعني الجسوس.
- العين الساحرة وهي وسيلة حديثة تركب في الباب: ينظر منه لمعرفة الطارق.
- ذلك الرجل عين من الأعيان: فهو السيد والشريف من القول.

ومن السياق اللغوي أيضا التقديم والتأخير، ففي مثل قوله: يرحمك الله بتقديم الفعل فإن المعنى ينصرف إلى تشميت العاطس. فإن قلت: (يرحمك الله) الله يرحمه بتقديم لفظ الجلالة على الفعل فإن المعنى ينصرف إلى الترحم على الميت هذا فضلا عما يحدثه تقديم الفعل على الفاعل في اللغة وبما أن التقديم والتأخير ظاهرة لغوية نقول أنه دخل حيز السياق اللغوي ويشتمل هذا الأخير على مكونات أساسية هي:

4-1-1السياق الصوتي: يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه. وليس مجردا من حيث كمية الهواء اللازمة لإنتاجه ودرجات الجهد والهمز وسواها وهنا تبرز ظاهرة الألوفون ودورها الوظيفي في بيان درجات التنوع الشرطي للأصوات لذا فالفونيم يعتبر المادة الأساس في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات داخل منظومة السياق على وقف محتواها الوظيفي قال. كال. نام. صام. هام. حام إذن ليس للصوت درجة قيمية داخل نفسه. وإنما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق الذي يعتبره المكان الآمن الذي تؤدي فيه الفونيمات أدوارها الوظيفية الدلالية للكلمات،أما قرائن الصوت ذات الدلالة السياقية فتكمن في الفونيمات التركيبية والصوائت.

4-1-2السياق الصرفي: المورفيمات سواء كانت حرة أو مقيدة أو محايدة لا قيمة لها إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين. ومثلها أحرف المضارعة وسواها. فالبناء الصرفي يقود إلى الانتساب للباب. ولكن هذا خارج نطاق السياق الصرفي الذي يتكون من المورفيمات وهي تمارس وظيفتها داخل النص[1]:

السياق الصرفي = معنى الصيغة الوظيفي + معنى الزوائد واللواحق.

4-1-3السياق النحوي: شبكة من العلاقات القواعدية تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة. ومن خلال القرائن النحوية مثل (الإعراب) وهو قرينة سياقية تتعاون جاهدة من غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية.

1يراجع عواطف كنوش المصطفى. الدلالة السياقية عند اللغويين. دار السياب للنشر والتوزيع .لندن.ط1 2007 ص 58

وقد رآه النحاة القدامى أصلا وأساسا لبيان الدلالة. وهو القرينة السياقية الكبرى، وعندهم به يبين المعنى ويميز ركب المعاني ومن خلاله يوقف على أغراض المتكلمين. وضربوا الأمثلة القياسية لذلك. وفيها يظهر دور الصوائت (مقص للآلة. مقص لمكان القص. مفتاح للآلة. مفتاح لموضعه). وقد أضافوا قرينة مرتبة ضرب موسى عيسى كالتقديم والتأخير شرط وضوح الغاية وعدم التباسها[1]. قال تعالى: "**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**"(سورة البقرة: 124)كذلك تعتبر الأداة قرينة نحوية لربط الكلام. ومبحثها واسع ممتد على امتداد ساحة النحو العربي.

4-1-4السياق المعجمي: هو مجموعة العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين يمنحها القدرة على التركيب. وفق أنظمة لغوية معينة. هذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب. ونحن لا نقصد معنى المفردة لوحدها داخل السياق.وإنما مجتمعة مع دلالات الوحدات الأخرى المكونة[2].

4-1-5السياق الأسلوبي: يظهر في النصوص الشعرية والنثرية أكثر منه في اللغة العادية لما يمتلكه من قوة النسج. وجدارة البناء. وقوة التوالد الدلالي لأنه ملك الفرد ذاته. ومن حقه أن يمارس طاقته الإبداعية. والإنتاجية في خلق أجيال جديدة من التراكيب التي تنهض على مستوى فني عالي النسيج.

4-2السياق العاطفي: وهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية ويرتبط بدرجات الانفعال، فاللفظة لا تحمل معنى عقليا بل تحمل في الغالب أيضا لونا من الإحساس فكلمة maisonnette دويرة وكلمة jardinet بستين (جنينة) لا يعنيان فقط منزلا صغيرا وبستان صغيرا بل أن اللاحقتين ette وet تقوم أن فيهما حقيقة بدور دوال العاطفة كم يضاف إليهما الجمالوالمتعة ومثل هذه اللواحق للتصغير تصنف عادة إلى هذه القيمة عاطفة اللطف والنفاسة أو الحنانأوالانعطافأو الإشفاق[1].

1يراجع المرجع السابق ، ص60

2يراجع عواطف كنوش المصطفى. الدلالة السياقية عند اللغويين. ص 68

1فوزي عيسى. علم الدلالة نظرية وتطبيق دار المعرفة. الجامعة الإسكندرية. ط1 سنة 2008 ص 115

وكل كلمة تذكر يكون صداها وتأثيرها لدى المتلقي لحالة نفسية "فبرج إيفل" مثلا حين سماعها تثير فيه ذكرى طيبة أو أليمة إذا كان قد زارها. وتعطيه تصورا خاصا وفق تركيبه النفسي فهي في التركيب اللغوي تحاط بجو عاطفي متصل بها وينفذ فيها ويكسبها ألوانا من الإيحاءات بحسب استعمالها[2]

فالسياق العاطفي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفا.إذ تنتقي الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال. فالمتكلم حين يكون في حالة من الشعور الجامع يعلو في استعمال كلمات محملة بالاندفاع. كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية مثل (يكره. يبغض). (يرغب. يتمنى). (يربط. يعقد). (ينكر. يجحد).(يمطر. يهطل). (يصفح. يعفو) كأن تمثل معناها تمثيلا حقيقيا. وللإشارات والنبر والتنغيم والمصاحبة للكلام أهمية في إبراز درجة الانفعال وقوته لأن اللغة ليست وسيلة للاتصال والتواصل والتعبير فقط بل هي نوع من السلوك وضرب من العمل[3].

4-3سياق الموقف:

ويقصد به تلك "العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام".وقد عبر عنه البلاغيون العرب القدامى بمقولتهم الشهير "لكل مقام مقال" وهو أن يوجد المتكلم مناسبة بين الكلام والموقف الذي يكون فيه ومثال ذلك كلمة "مبروك" فهمنا هنا إنه أمر متعلق بحدث سعيد أو أنباء سارة حلت بالمخاطب فإذا سمعناه يقول مثلا لآخر (عظم الله أجرك) علمنا أنه في موقف عزاء لموت عزيز عليه أو أحد الأقارب وإذا سمعناه يقول مثلا (كل عام وأنتم بخير) علمنا أن الأمر يتعلق بمناسبة سعيدة. والمقامات مختلفة لذا وجب معرفة الاختلاف بين المعنى انطلاقا من المقال[4].

2يراجع نور الهدى لوشن. إلياذة الجزائر. ص 133
3أحمد محمد قدور. مبادئ اللسانيات ص 297
4المرجع السابق، 299

ولا شك في أن ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية يدعو الباث إلى الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي سيق فيها الكلام ولذلك كان التمهيد للآثار الأدبية بتحليل بيئتها الزمانية والمكانية ودراسة الملابسات الشخصية أهمية في فهم المعنى المقصود في تلك الظروف[1].

4-4السياق الثقافي: وفيه يتحددنوع المجتمع اللغوي الذي تقال فيه كلمة من حيث المهنة أو درجة الثقافة أواختلاف اللهجات وإذا كان يقصد بسياق الموقف عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية. فإن السياق الثقافي ينفرد بدور مستقل. وإن كان مرتبطا بسياق الموقف وهو يتضح من انتماء أصناف الناس إلى الثقافات والبيانات المختلفة والتخصصات المتعددة فقد تكون الكلمة واحدة. لكن مفهومها يتغير من فئة اجتماعية إلى أخرى مثل (جذر) التي لها معنى في الزراعة وتعني الجزء المعروف من النبات بينما تعني بها الأصل الأول للكلمة وذلك عند علماء اللغةوعند المعجميين خاصة[2].

وعند عالم الرياضيات يعني مفهوما آخر غير السابقين تماما فكلمة (الصرف) هي لدى دارسي العربية وطلابها تفيد العلم الذي تعرف به أحوال الكلمة من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحو ذلك على حين يحددها دارسو الهندسة وطلابها بأنها مصطلح علمي يشير إلى عمليات التخلص من المياه بأي وسيلة ويربطونه بالري فهم يتحدثون عن الري والصرف دون أن يشعروا بأي التباس أو غموض في المعنى أمام دارسي العربية الذين يتكلمون عن الصرف.أما في قطاع المال والتجارة فكلمة صرف تشير دلالتها إلى تحويل العملة النقدية من الوجود والكمون في الحساب المصرفي مثلا إلتداول الفعلي أو تحويل العملة من فئةإلى أخرى أو من نقد إلى آخر، ونلفي بالسياق الثقافي أهمية بارزة في الترجمة إذ يتطلب الفهم الدقيق والعميق للظروف المختلفة للمفردات والتعبير حتى يتمكن المترجم من نقل مضمون النص إلى لغة الهدف بكلمات موازية من حيث الارتباط بالسياق فالاقتصار على الدلالة المعجمية حين ترجمة الكلمات المعبرة عن العقائد أو المذاهب السياسية مثلا قد يضلل المترجم ويبعده عن روح النص لأنه لم يكن قد وضع في الحسبان المعاني الهامشية المستمدة من السياق الثقافي[3].

1يراجع سعد محمد سعد. في علم الدلالة. الناشر مكتبة زهراء الشرق ط2 سنة 2007 ص 43

2المرجع نفسه ص 44

3أحمد محمد قدور مبادئ اللسانيات ص 300.299

4-5السياق الحالي: يشمل الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية المشتركة بين متكلمي اللغة،ويعرفه فيرث firth بأنه "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي. ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع وتكوينها الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي. والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي ... وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعال أو أي ضرب من ضروب الاستجابة"[1].

أما العناصر المكونة لسياق الحال هي[2]:

أ. شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي. وشخصيات أخرى إما شاهدة على الخطاب أو مشاركة في الكلام من حين لآخر وما يصدر عنهم من نصوص وعلاقة ذلك بالسلوك اللغوي.

ب. العوامل المختلفة ذات الصلة باللغة والسلوك لمن يساهم في الموقف الكلامي كالوضع السياسي والاجتماعي ومكان الكلام وما يصاحب الكلام من انفعال وتعجب وغيرها.

ت. أثر النص الكلامي في أطراف الخطاب وعناصره كالاقتناع والألم والحزن والضحك وغيرها من الملامح التي تظهر على الوجه

4-6السياق الخارجي: السياق الخارجي للنصوص يتداخل مع السياق الثقافي ويتقاطع معه في نقاط عديدة والذي يفصل هذين المستويين أن السياق الخارجي يمثل لسياق التخاطب كما يتجلى في بيئة النص على جميع المستويات ويجمع سياق التخاطب مستويات العلاقة بين القائل (المرسل) والمتلقي(المستقبل) وهي العلاقة التي تحدد بشكل حاسم نوعية النص من جهة وتحدد مرعاة التفسير والتأويل من جهة أخرى[3].

وفي حالة النص القرآني يمكن القول إن السياق الغالب هو التخاطب وهم من أهم مستويات السياق الخارجي. حيث يجعل سياق الخطاب من الأعلى إلى الأدنى وعلى أساس هذا المحور تتحدد التعليمة بوصفها سمة أساسية للنص ومحور التركيز غالبا على المتلقي.و يمكن أن نطلق على السياق الخارجي الخاص بالقرآن

1أحمد عزوز. علم الدلالة بين القديم والحديث وهران. دط. 2007 ص 105

2محمود السعران. علم اللغة ص 318.317

3يراجع نصر حامد ابو زيد. إشكاليات القراءة وآليات التأويل. المركز الثقافي العربي لبنان. ص 101

الكريم اسما يعرف بـ (سياق النزول) مع العلم أن القرآن الكريم نزل منجما واقترن نزوله بالمناسبة أو أسباب النزول ومنه اختلف المخاطب في كل مناسبةأو سياق[4].

4يراجع المرجع نفسه ص 102

121.0-المبحث الأول: مفاهيم عامة حول السياق المقامي:

1-1- تعريف المقام:

لقد أطلق العرب قولهم: "لكل مقام مقال" وسار في الناس مثلا وشاع لدى طائفة ولعل أسبق من نسب إليه إرسال هذا المثل هو "طرفة بن العبد" إذ روى عنه قوله:

تصدق على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

وكان من البلغاء أن يلقوا خطبهم، وينشدوا أشعارهم من قيام، ومن قرنت العرب الكلام بالقيام، فطفقت تقول: قام منشدا، وقام خطيبا، وقام فقال، ويعلل "ابن رشيق" لهذا القيام بقوله: "فأما قيامه وجلوسه صاحب اللّحون، فلأن هذا متشوق إليه، يجب إسماع من بحضرته أجمعين. بغير آلة... ولا يمكنه ذلك إلا قائما أو مشرفا، وليدل على نفسه...". ومن هذا نجد لفظ مقام أصلهَ مقْوَمْ على وزن مفعل من قام يقوم فتحركت الواو في الأصل وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفا نحو مقام ومجاز. "والمقام يكون مصدرا واسم مكان القيام وزمانه"[1].

1-2 تعريف السياق المقامي: يرى الزنكي أن مصطلح "السياق" يعد من المصطلحات التي لم يتم تحديد ماهيتها في فنون اللغة العربية قديما. كل ما في الأمر أن علماء العربية يستدلون به ويشيرون إلى دلالته من غير أن يحددوا معناه النظري تحديدا صريحا.

فالسياق المقامي عنده هو ما ينتظم القرائن المقامية التي تفسر الغرض الذي جاء النص لإفادته سواء كانت قرائن في الخطاب ذاته أو في المتكلم أو المخاطب أو في الجميع. أو بتعبير آخر هو السياق الذي يشير إلى النواحي المباشرة للنص والتي تمكن ملاحظتها أثناء حدوث الكلام مثل الإطار والمشاركين والنشاطات التي وقعت فيه[2].

ويعتبر أول من اقترح مصطلح سياق المقام في العصر الحديث العالم أنتروبولوجي برونيسلاو مالينوفيسكي (bronislawmalinowski)، وذلك حين درس لغة السكان الأصليين في جزر جنوب المحيط الهادي المعروفة بجزرتروبرياند بنيو غينيا في مقالة كتبت عام 1923، بعنوان "مشكلة المعنى في اللغة البدائية"حيث قدم

1 يراجع محمد بدري عبد الجليل تصور المقام في البلاغة العربية. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. د.ط سنة 2003 ص 13.11

2 يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق: دراسة أصولية دار الكتب العلمية بيروت.ط1 2006 ص 63

مصطلح سياق المقام ويعني به البيئة التي تحيط بالنص، وأبان مالينوفيسكي أن تفسير النص أو الكلام لا يتوقف عند معرفة البيئة المباشرة أي بالمعلومات التي ترتبط بما يحدث في زمن إنتاج النص أو حدوث الكلام فحسب، وإنما يتجاوز ليشمل جميع ما يرتبط النص والكلام من الخلفيات الثقافة وتاريخ المشاركين في الاتصال والنشاطات التي يمارسونها[1].

وبعد مالينوفسكي، طور فيرث مفهوم سياق المقام، ورأى أن مالينوفيسكي لم يقدم مفهوما وافيا بأهداف النظرية اللغوية لعدم عموميته، أراد فيرث أن يبدع مفهوم سياق المقام الذي يمكن تطبيقه على أي لغة والذي يلائم بالنظرية اللغوية العامة، لذا حدد فيرث عناصر مكونة للموقف الكلامي التي تعتبر معيار دراسة سياق المقام وهي[2]:

1-المشاركون في الخطاب، شخصيتهم، وتكوينهم الثقافي، وانتماؤهم الاجتماعي أو المهني، وسلوك المشاركين ويشتمل على السلوك الكلامي وغير الكلامي.

2-المواد أو الأشياء الموجودة في الموقف من أجسام وأثاث وأدوات وأحداث.

3-أثر السلوك الكلامي: الآثار المترتبة على الكلام المشتركين في الحدث الاتصالي.

2-المبحث الثاني: طرق التوصل إلى السياق المقامي في القرآن الكريم:

2-1- النقل الصحيح:

من وسائل التعرف على المقام النقل الصحيح، فقد ينقل المخاطبون بالنص والسامعون له صورة الخطاب والقرائن المفيدة في المعنى. ومقام النص قد يظهر لهم فيدركونه بالحس، كأن يرد النص في حادث معين أو على عرف كانوا يتعارفونه، بمعنى مقام النص قد يظهر فيدركونه وذلك بتشبيهه بأحد الحوادث التي مرت عليهم أو عرف. وقد يختص بدركه النبي صلى الله عليه وسلم فهو كما يرى البقلاني: "يعرفه عن الملك، والأمة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بضروب الألفاظ والتأكيدات والإشارات والرموز والأمارات التي يضطر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مرادهما، وليس نعت موصوف وحد محدود. وإنما يعلم ذلك المشاهد له الملك مشاهدة الرسول، وذات الرسول مشاهدة للأمة، والذات إذا شوهدت صح العلم بها وبأن الخطاب خطاب لها وبمرادها بالخطاب ضرورة"

1 يراجع مالينوفيسكي. مشكل المعنى في اللغة البدائية. لندن.2001 ص 46

2 فيرث. وثائق في اللسانيات. 1951- 1934 اوكفورد (جامعة). المملكة المتحدة سنة 1969 ص 182

ويقصد بـ"يضطر" الرسول صلى الله عليه وسلم أن علما ضروريا يحصل له في تلك الأثناء والضمير "هما"في مرادهما يعود إلى جبريل عليه الصلاة والسلام.ثم هذه القرائن ينقلها "المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر، حتى توجب علما ضروريا يفهم المراد أو توجب ظنا.و كل ما ليس له عبارة موضوعة في اللغة فتتعين فيه القرائن" كما يرى "الغزالي"[1].

ونستشف من عبارة "الغزالي" أن القرائن التي يشاهدها الصحابة من الرسول صلى الله عليه وسلم نوعان يختص منهما بطريقة نقل خاصة فهناك قرائن حالية يقابلها تعبير في اللغة، فينقلها الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة في إفادتها. وهناك قرائن حالية لا يقابلها تعبير لغوي موضوع وليس لها نعت موصوف ولا حد محدود. وبعضها من الأمور الضرورية التي تختص بدرك المشاهد لها، فهذا النوع يندرج تحت العموم، ويمثل الغزالي لهذا النوع بالقرائن التي عرف الصحابة بها عموم ألفاظ الكتاب والسنة وعدم قصرها على الوقائع الحالية ويقول: "إن قيل: بم عرفت الأمة عموم ألفاظ الكتاب والسنة وإن لم يفهموه من اللفظ؟ وبم عرف الرسول صلى الله عليه وسلم من جبريل وجبريل من الله تعالى حتى عمموا الأحكام؟ قلنا:أما الصحابة رضي الله عنهم فقد عرفوه بقرائن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وتكريراته وعادته المتكررة، وعلم التابعون بقرائن أحوال الصحابة وإشارتهم ورموزهم وتكريراتهم المختلفة أما جبريل عليه السلام فإنه سمع من الله بغير واسطة فالله يخلق له العلم الضروري بما يريده الخطاب بكلامه، وإن رآه جبريل في اللوح المحفوظ بأن يراه مكتوبا بدلالة قطعية لا احتمال فيها ". ونجد كل من الباقلاني والغزالي يذهبان إلى أن بعض القرائن لا لفظ يعبر عنها أو ليس لها اسم مخصوص يكون قاطعا في الدلالة عليها بحيث لا يحتمل غيرها ولذلك تعين نقلها عن طريق القرائن. ويخالفهما الإمام "الشيرازي" أن بعض القرائن لا عبارة لها، فردّ على من قال: "إن كثيرا من هيئات النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن الخبر عنها وإنما يدرك بالمشاهدة". يقول الشيرازي: "إن القول مثل الفعل في أنه يجعل الشيء المشاهَد المعاين، لأنه ما من صفة ترى بالعين إلا ولها عبارة تدل عليها. ولهذا فإن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نقلو إلينا صلاة النبي وأفعاله وهيئاته ولم يتركوا منها شيئا، جعلوها بالوصف كأنا نشاهده بالعيان وقولهم: إن كثيرا من الهيئات لا يمكن العبارة عنه. هذا غير صحيح لأنه ما من شيء إلا وله عبارة موضوعة تمكن من بيانه"[2].

نستنتج من هذا أن كل شيء وفعل إلا وله عبارة تدل عليه لأنه مثلا عندما نقوم بقراءة نص أو خطاب ما لابد من وجود دلالة أو معنى يقوم بوصفه وكأننا نشاهده أو كنا حاضرين أثناء ذلك الحدث. والقول أنه توجد

1 يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية. ص 316
2 المرجع نفسه ص 317

هيئات لا يمكن التعبير عنها غير صحيح لأن كل شيء وله عبارة تقوم بتبيانه، ونقل المقام يأخذ صورتين اثنتين النقل المقترن بلفظ الخطاب، والنقل غير المقترن بلفظ الخطاب.

2-2-النقل المقترن بلفظ الخطاب:

إن الظروف الجزئية والملابسات التي تحيط بالخطاب وتصف مقاما غير قابلة للحصر لذا فإن الناقل لا يمكنه نقل كل ما يحيط بالنص من ظروف خاصة وعامة وأحداث جزئية فالراوي أو الناقل إنما يسعه نقل الأمور التي لها صلة بمدلول الخطاب، أما الأمور التي تصاحب الخطاب ولا تتعلق بمدلولاته فقلما ينقلها الناقل. لأن المعلومات الواردة في الخطاب ما تخضع لعملية انتقاء بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية التي يتوقف عليها التخاطب.

إن الراوي عندما يريد نقل خطاب ما لا يقوم بنقل كل ما يتعلق به أي عاما وخاصا للخطاب وهذا كله يصعب على الراوي تحمله من أجل النقل لذلك يقوم بنقل كل ما يتعلق بلب الخطاب لأن المعلومات الواردة فيه تكون منتقاة من طرف الناقل وهذا يسهل عليه معرفة معنى الخطاب[1].

كذلك نجد راوي السنة ينقل من مقامات الخطاب النبوي وأحوال مقاله الشريف جملة الظروف والملابسات المرتبطة بالمعنى، لأن الأمور والظروف التي لا أثر لذكرها وليس هناك داع لذكرها التي لا تكشف انسجاما في النص ولا تزيد إدراكا للمعنى، فإن نقلها لا يزيد السامع والمبلِّغ إلا تشويشا وإرباكا للذهن. فالسامع قد يظن بالناقل أنه إنما نقل تلك الظروف لتأثيرها في خطاب الشرع وفي تفسير مراد منه، فيوقعه في حيرة حتى يحتاج هو إلى استخدام مقاييس التعليل كالمناسبة، السير والتقسيم والتنقيح والتخريج لتميز ما هو منوط به للتأثير في الحكم الذي سبق له الخطاب أي أن الناقل عندما ينقل الظروف والملابسات التي لا أثر لذكرها في الخطاب يجعل المتلقي يقع في حيرة فيضطر لتفسير ما المراد به فيلجأ إلى استخدام مقاييس التعليل لذلك نجد رواة السنن يقتصرون على نقل الجوانب ذات الأهمية في الخطاب، فلا يحكون الأحوال التي لا حاجة إليها في مقام التشريع والتبليغ[22].

1 يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية. ص 318

2 يراجع المرجع نفسه.ص319

"فالأصل في سكوت الراوي أن يتخذ شهادة سلبية على انتفاء قيود خارجية وانعدام قرائن أخرى دالة وقت صدور الخطاب، فيجعل سكوته دليلا على انتفاء قرائن إضافية تحف ذلك الخطاب. وفي ذلك يقول الإمام الشافعي: "...إنهم – رواة– لا يحكون بعض ما يحتاج إليه من الحديث ويدعون بعض ما يحتاج إليه منه وأولاه أن يحكى..." فكون الراوي ثقة تنزل منزلة إحاطة بكل ما يكتنف السياق من قرائن مقالية ومقامية لأن الثقة العدل لا تترك السامع في غفلة عما يقتضيه الخطاب. فكما يقول الإمام الشافعي: "المحدث بما يحل ويحرم لا يجر إلى نفسه ولا غيره ولا يدفع عنها ولا عن غيره شيئا مما يتمول الناس. ولا مما فيه عقوبة عليهم ولا لهم، وهو ومن حدثه ذلك الحديث من المسلمين سواء، إن كان بأمر يحل أو يحرم فهو شريك العامة فيه، لا تختلف حالاته فيه...". وبقدر علم الراوي بما يحيل المعنى يقوى انتقاؤه لظروف الخطاب وملابساته، ويدق التزامه بمرامي النص ولذلك يرجع العلماء خبر الراوي الفقيه على خبر غيره[1].

2-3-النقل غير مقترن بلفظ الخطاب:

"قد تنقل القرائن المقامية المحتفة بالخطاب منفصلة عن لفظه، وهذا النقل يكون في أسباب نزول القرآن وأكثر ما يروى من أسباب ورود الحديث النبوي. يقول الإمام الشاطبي مشيرا إلى أهمية الإلمام بأسباب النزول: "ليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أوفهم شيء منه، ومعرفة أسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، ونشأ عن هذا الوجه أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع"[2].

يبين الإمام الشاطبي في نصه أن معرفة أسباب النزول تساعد على فهم المقصود بالآيات وعدم الخروج عن معناها الحقيقي فيقول: "الغفلة عن أسباب التنزيل تؤدي إلى الخروج عن المقصود بالآيات....هذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزل، بحيث لو فقد ذكر السبب لم يعرف من المنزل معناه على الخصوص دون تطرق الاحتمالات، وتوجه الإشكالات"[3].

ويقول الإمام ابن تيمية: "معرفة سبب النزول تعين فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قول الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رجع إلى سبب يمينه ماهيتها وأثارها". والمراد بأسباب

1 يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية. ص 320

2 يراجع المرجع نفسه.ص24

3 يراجع المرجع نفسه،ص25

النزول حوادث آيات من القرآن نزلت لأجلا لبيان حكمها أو لحكايتها[1].

ويتفق العلماء أن الصحابي إذا ذكر سببا وذكر الآية القرآنية التي نزلت عقبه كان ذلك حديثا مسندا أما إذا قال الصحابي: "نزلت هذه الآية في كذا" فهنا العلماء يختلفون في الآراء فمنهم من يدخلونه في المسند أمثال البخاري والبعض الآخر لا يدخلونه في المسند. وهناك ما يلفت النظر أن هناك روايات تذكر على أنها أسباب لنزول آيات من القرآن الكريم فيظهر أنها مما ينبو عنه سياق الآية فقد تذكر حادثة مكية سببا في نزول آية مدنية. ومثال ذلك ما روي عن سعيد ابن المسيب (ت94) وسعيد بن جبير (ت95) أن قوله تعالى: **"يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**[2]" ونزلت هذه الآية حين أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابن كثير: "وفي هذا نظر، لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض حبشة وقبل الهجرة إلى المدينة". وتبين ذلك فيما رواه البيهقي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول:"نزلت هذه الآية: "**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**[3]" في زكاة رمضان (زكاة الفطر) لكن العلماء قالوا لا ندري ما وجه هذا فإن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة لهذا ذهب المحققون أن قول السلف "نزلت الآية في كذا"قد يستعمل في بيان ما تنطبق عليه الآية مما حدث في عهد النبي أو قبله أو بعده، ولا يكون عرضهم إلا تصوير ما يصدق عليه الآية من المعاني. وهنا فلا يصح التعويل على ما يذكر من أسباب النزول إلا أن تثبت بسند صحيح وتتلاءم مع تأريخ النزول ويعود هذا التأكيد إلى تقديم السياق المقالي على دلالة السياق المقامي يقول ابن القيم:"دلالة المقال أكمل من دلالة الحال"[4]

ويمثل الشيخ ابن عاشور لسبب النزول الذي يروى ويتنافى مع السياق النص بما روي في سبب نزوله قوله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**[5]" . وقد أخرج الشيخ سنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "لقي ناس من المسلمين رجلا في غنيمة

1يراجع عبد الحق الزنكي ، نظرية السياقية :دراسة أصولية ، ص325

2سورة الأنفال:الآية 64

3 سورة الأعلى: الآية 14

4يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية. ص 326

5سورة النساء: الآية 94

له فقال:السلام عليكم، فأخذوه فقتلوه، وأخذوا تلك الغنيمة فنزلت الآية الكريمة. فابن عاشور يبين أن القصة لابد أن تكون وقعت، لأن ابن عباس رضي الله عنه رواها لكن اللآية نزلت في أحكام الجهاد بدليل ما قبلها وما بعدها.وهنا يظهر أن ما ذكره الشيخ ليس بالقوي لأن سياق الآية لا ينافي القصة بل يتناسب ويتلاءم معها[1].

3-المبحث الثالث: مستويات السياق المقامي في القرآن الكريم.

3-1حال الخطـاب: إن كل خطاب يؤدى بلغة، وكل خطاب يحمل في نفسه تعبيرا عن حقيقة ما، ويتسم بصفات ومقاصد بحسب قصد المخاطب وعادته وإرادته. فالمخاطب المؤدي باللغة العربية غير الخطاب الذي يؤدي بلغة أخرى، والخطاب الذي يتعلق بالمدح غير الخطاب الذي يتعلق بالذم وخطاب الشارع غير خطاب الناس، فلكل خطاب أحوال خاصة. وكلمة "حال الخطاب" كلمة عامة تختص ببيان معنى المخطاب من وصف الخطاب وطريقة أدائه والعرض الذي سيق له وواقع المعنى في الخارج.كل هذا أثر في تحديد دلالة النص، فكلما توفر الخطاب على أركان الوضوح والحضور والمشاهدة والمباشرة كان المتفهم له أكثر حظا في فهمه وأحظى بالوقوف على القصد منه. وقد يطلق لفظ المقام على العرض الذي يفيده النص في جزء من أجزائه أو في اقتران بعضه ببعض، أو على العرض الذي يفيده النص بجملته وهو ما يسميه بعض المعاصرين بمقام المقال، ويقول السكاكي فيه: ...لكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام[2].

فمن الأسباب التي تمكننا من الوصول إلى مقام نص الخطاب نفسه، سياقه مبدؤه ومنتهاه فالخطاب في نفسه قد يحمل مقامه، وكثيرا ما يقتصر البلاغيون على السياق المقالي لمعرفة مقتضى الحال، فإذا ورد الخطاب من غير توكيد سموه خطابا ابتدائيا تقديرا أن المخاطب خالي الذهن من الحكم، وإذا ازداد التوكيد في الخطاب وخرج من كونه خطابا ابتدائيا إلى خطاب قصد به التوكيد ويسمونه خطابا طلبيا أي طالبا للوصول إلى المعرفة المتيقنة. ويسمونه خطابا إنكاريا إذا ازدادت التأكيدات أي منكرا للحكم الذي يضمنه الخطاب وهكذا ينظرون إلى النص لأن كلما ازداد التوكيد قدروا أن المخاطب كان غبيا أو متجاهلا وكل هذا يستخرجونه من الخطاب ذاته، ومن ذلك أكثر النواهي والأوامر التي صرفت عن ظواهرها إلى قصد الإرشاد أو التوبيخ وما اتبعها فيقولون فيها هذا مقام التوبيخ والإرشاد أو الإهانة أو التهديد وكثير منها دل عليه سياق الكلام وسياقه مثلا قوله تعالى:"**ذُقْ إِنَّكَ**

1يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية. ص 327

2المرجع نفسه ،ص372

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ[3]" هنا في هذه الآية حملوا العلماء الأمر على معنى الإهانة، بمعنى (ذق إنك أنت المهان الحقير)، ووصفوا مقام الخطاب بأنه مقام الإهانة وقد سبقه قوله تعالى: (**نَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الأثيم (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلى سَواءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49)** الدخان: (43-49). فالخطاب نفسه أبان عن الحال التي خرج عليها والمقام الذي ورد فيه، وهو الإهانة[1].

وقد اعترف بعض علماء الأشاعرة بإدراك العقل للضروريات ولو قبل ورود الشرع، أما مدرسة الأحناف فكانت أكثر واقعية، حين ذهبت إلى أن العقل يمكنه إدراك المصالح والمفاسد في الأفعال، لكن العقل لا يلزم، بل الشرع هو مصدر الإلزام. واستطاعوا أن يميزوا مساقات النصوص والمقامات تبعا لدرجة إدراك العقل لضرورة أحكامها فكان من ثمار ذلك المسائل التالية[2]:

أ- ذهبت الحنفية إلى أن هناك أحكام ثابتة صدقها ذاتي ضروري لا يمكن تبديلها في الشريعة لا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا بعده وذلك كمعرفة الله وتوحيده، ومن الأمثلة على ذلك هناك نصوص دالة على أحكام أساسية تعد من قواعد الدين التي لا يطرأ عليها تغير، كالإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر مثل قوله تعالى: "**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**"[3] وقوله تعالى:"**وأطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرّسُول**"[4]وهناك نصوص لا تستقيم حياة الأمم بدونها كالوفاء بالعهد في قوله تعالى: "**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ**"[5]. والعدل في قوله: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**"[6] والأمانة في قوله: "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**"[7]. وصلة الأرحام في قوله تعالى: "**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**"[8]. وبر الوالدين في قوله تعالى: "**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**"[9] فهذه الأحكام ثابتة لا تحتمل التغيير ولا التأويل. وبهذا يتحصل لنا أن لحال الخطاب في نفسه باعتبار المعنى الذي يؤديه دور في فهم المساق

3سورة الدخان: الآية 49

1يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية. ص 373

2نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية. ص 378 ... 381.

3سورة الحديد الآية 7

4سورة التغابن: الآية 12

5سورة الإسراء: الآية 34

6سورةالنحل: الآية 90

7دسورة النساء: الآية 58

8سورة النساء: الآية 01

9سورة الإسراء: الآية 23

الذي خرج عليه، فالنص الذي يحمل معنى كليا يعد مستقلا بالإفادة ويكون العمل واجبا به مباشرة من غير النظر إلى احتمال النسخ والتبديل.

ب–الحنفية استشهدوا بحال الخطاب في الواقع على معرفة المساق الذي خرج عليه، فالنهي عن الربا في قوله تعالى: "**لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا**"[1]. إنما مساقه هو إبطال الزيادة الناتجة عن العقد، لا تحريم أصل العقد، لأنه كالبيع من هذه الجهة، وقد أحل الله البيع، فبإدراك حال البيع وإدراك حال الربا يتجلى المساق الذي خرجت عليه الآية.

3–2 حال المتكلم:

للمخاطب (المتكلم) أوصاف وعادات ومقاصد، وله في حال خطابه أحوال خاصة تدل على قصده وتبين عن معنى كلامه. والمعرفة بهذه الأحوال العامة والخاصة تعين كثيرا على فهم مقاصده وتفسير خطاباته.

وقد أشار بعض العلماء إلى أهمية استحضار وصف المتكلم في تفسير خطابه فيقول "ابن تيمية الحيراني": "حال المتكلم والمستمع لابد من اعتباره في جميع الكلام، فإنه إذا عرف المتكلم فهم من معنى كلامه ما لا يفهم إذا لم يعرف، لأنه بذلك يعرف عادته في خطابه، واللفظ إنما يدل إذا عرفت لغة المتكلم التي بها يتكلم، وهي عادته وعرفه التي يعتادها في خطابه"[12] فكلما كان السامع أعرف بالمتكلم وعادته كانت استفادته للعلم بمراده أكمل وأتم فالجهل بحال المتكلم يلزم منه الجهل بالخطاب ذاته، ولذلك قال "الإمام الباقلاني": "جهل الناظر ببعض صفات الدليل التي يحتاج إلى علمها نقصان منه ومفسد للنظر فيه. وصورة ذلك أن يسمع المكلف خبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تحريم الخمر ولا يعلم مع ذلك أنه خبر النبي صلى الله عليه وسلم فلا يعلم –لجهله بصفته –كونه دليلا. ولذلك لو شاهد ما يظهر على يده من إحياء الميت وفلق البحر ولم يعلم أنه من أفعال الله تعالى مقصودا به إلى تصديقه لم يعلم كونه دلالة على نبوته ".

من خلال مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدور الخطاب عنه ترتفع الاحتمالات اللغوية والشرعية التي تعرض لدلالات الألفاظ، ويتمكن الفقيه من معرفة العلة التي قصدها حتى ينوط بها أحكام الأمور التي ينص عليها. لذا فإن التطلع إلى معرفة مقاصد خطابات الرسول عليه الصلاة والسلام القولية والفعلية يستلزم تعيين الصفة التي صدر عنها ذلك القول أو الفعل[23].

1سورة آل عمران: الآية 130

2 يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية ص 392–396

3 يراجع المرجع نفسه،397

وهذه المقامات النبوية يمكن تقسيمها إلى أقسام:

3-2-1 القسم الأول:

3-2-1-1- مقام الفتيا وتبليغ الرسالة: "تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ هو مقتضى الرسالة، فقد بعث صلى الله عليه وسلم لتبليغ الشريعة، فهو ينقل عن الله تعالى رسالته في الخلق. وهو في هذا المقام مبلغ عن الله تعالى شرعه وناقل عنه دينه. وهذا المقام هو أغلب أحوال النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى فيه: **"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"**[1]. فقد حصرت الآية أحواله صلى الله عليه وسلم في الرسالة، وليس هناك أبلغ من الحصر في الإفادة.

وميز القرافي بين تصرفه صلى الله عليه وسلم بالفتيا بمقتضى التبليغ بأن التبليغ كالرواية، وكما ظهر الفرق بين المفتي والراوي، فكذلك يكون التبليغ الفرق بين تبليغه صلى الله عليه وسلم عن ربه وبين فتياه في الدين، والفرق هو الفرق بعينه. فلا يلزم من الفتيا الرواية، ولا من الرواية الفتيا من حيث هما رواية وفتيا "ويفرق بينهما أيضا بأن الرسالة أعم من الفتيا، لأن كل فتيا تقبل النسخ، أما الرسالة فمنها ما لا يقبل النسخ كالأخبار، ومنها ما يقبل النسخ إذا كان حكما تكليفيا فصارت الرسالة أعم من الفتيا. ومن أحكام تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا أن ذلك شرع يتقرر على الخلائق، فيلزم الأمة جميعا من غير اعتبار حكم الحاكم ولا إذن إمام لأن هذا التصرف النبوي غير مرتب على رأيه واجتهاده وإنما هو تبليغ خالص عن ربه جلا وعلا كالصلاة والزكاة وأنواع العبادات الأخرى وغير ذلك من تصرفاته صلى الله عليه وسلم[2].

3-2-1-2- **مقام القضاء:** وهذا المقام يصدر عنه صلى الله عليه وسلم من أجل الفصل بين المتخاصمين فينشأ صلى الله عليه وسلم حكما للقضية المعروضة عليه بحسب ما سنح من الأسباب والحجاج. وفي هذا المقام يتبع الرسول عليه الصلاة والسلام أمر الله تعالى بإنشاء الأحكام وإصدارها على المتخاصمين على وفق الحجاج والأسباب، فلا ينقل الرسول عن ربه خصوص الحكم، بل نوعه وجنسه فهذا المقام يشبه الفتوى في أن كليهما تطبيق للرسالة على الوقائع الخاصة، ويفترقان في أن مقام التبليغ والفتوى تبليغ محض واتباع صرف، والقضاء إن شاء الله من قبله صلى الله عليه وسلم بحسب اقتضاءات الحجاج[3].

1سورة آل عمران: الآية 144

2يراجع نجم الدين الزنكي. المرجع السابق ص 398

3يراجع نجم الدين الزنكي. نظرية السياق دراسة أصولية ص 400

3-2-1-3- **مقام الإمامة والإمارة:** تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى الإمامة وصف زائد على نبوته ورسالته وفتياه وقضائه، وذلك لأن رسلا من قبله قد بعثوا برسالات ولم يطلب منهم غير التبليغ وإقامة حجة على الخلق ولم تكن لهم إمامة يعود إليهم من خلالها النظر في المصالح العامة. فالفتيا تتحقق بمجرد الإخبار عن الله تعالى من غير إلزام وسلطة تنفيذية، ومرتبة القضاء دون مرتبة الإمامة، لأن القاضي يتصدى لفصل الخصومات دون السياسة عامة أما الإمامة فتقتضي مباشرة السياسة العامة في الخلق، وضبط المصالح. فتصرف النبي صلى الله عليه وسلم بالإمامة هو كل تصرف صدر عنه بوصفه إماما للمسلمين ورئيسا للدولة يدير شؤونها ويحقق مصالحها ويدرأ عنها المخاطر والمفاسد. وهذا المقام يشمل مباشرة التصرفات الشرعية المقررة في أصل الشرع التي لا يمكن تنفيذها إلا بالإمام الأعظم أو نائبه، وذلك كإقامة الحدود والعقوبات المقررة، فإن مقام الإمامة لا يتعلق بأصل التشريع وإنما يتعلق بتنفيذه وإنجازه وتحقيقه[1].

3-3-1 القسم الثاني: يمثل القسم الثاني المقامات التي تقتضيها أحوال الأمة أو أحوال أفراد منها وذلك بحسب الأحداث والوقائع المختلفة العامة والخاصة[2].

3-3-1-1**مقام الهدي والإرشاد:** وهو الحال الذي يكون تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم غير مقصود به الإلزام، بل يكون من باب الإرشاد والنصيحة وتعليم الحقائق العالية والإشارة والتوجيه نحو الأفضل. يقول الشيخ ابن عاشور: "ومنه علامات عدم قصد التشريع عدم الحرص على تنفيذ الفعل، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في مرض الوفاة: "آتوني أكتب لكم كتابا ان تضلوا بعده". قال ابن عباس رضي الله عنه فاختلفوا، فقال بعضهم: حسبنا كتاب الله، وقال بعضهم: قدموا له يكتب لكم، ولا ينبغي عند النبي تنازع، فما رأى اختلافهم قال: دعوني فما أنا فيه خير".

3-3-1-2 **مقام التأديب:** يقول ابن عاشور: "أما حال التأديب فينبغي إجادة النظر فيه، لأن ذلك حال قد تخف به المبالغة لقصد التهديد فعلى الفقيه أن يميز ما يناسب أن يكون القصد منه بالذات التوبيخ والتهديد ولكنه تشريع بالنوع، أي بنوع أصل التأديب".

---

1 يراجع نجم الدين الزنكي ، نظرية السياق : دراسة أصولية، ص 403

2 يراجع المرجع نفسه ص 406

3-4 القسم الثالث: وهو المقام الذي يشترك فيه النبي صلى الله عليه وسلم الجمهور، وهذا لا يؤسس تشريعا ولا يغير واقعا وذلك كالتصرفات التي تصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم كتصرفاته الجبلية من أكل وقيام وقعود ونيام ومشي وغير ذلك من التصرفات التي لا يخلو البشر من فعلها[1].

3-3 مستوى حال المخاطب: إن المخاطب له حضور دائم في إرادة المتكلم، فبحسب مستواه وفهمه يتأتى إخراج الخطاب، ولذلك كان لابد لحسن فهم الخطاب من استحضار الفهم الذي أدركه المخاطب، وهذا الفهم لا يتم إلا بتنزيل الخطاب على مراعاة حاله.ولقد بالغ العلماء في أهمية استحضار حال المخاطب ضمن حال المتكلم، فكأن حال المخاطب كان لها من الاعتبار ما جعلها حالا للمتكلم نفسه، وذلك من حيث إن المتكلم لا يخرج كلامه إلا على موافقة حال المخاطب، فكانت حالة مقصودة في إرادة المتكلم. يشير الشيخ ابن عاشور ضمن إشادته بمعرفة معهود العرب إلى أهمية المعرفة بأخبارهم في معرفة مساق الآيات القرآنية لأن القرآن خاطبهم بما يناسب حالهم وما كان لهم به عهد، وهذا يستلزم أن القرآن الكريم كان يستحضر في خطابه معهود هم وأساليبهم، يقول: "أما أخبار العرب... فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في نسوقها... فبمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني، فنحو قوله تعالى: "**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**"[2] وقوله تعالى: "**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**"[3] يتوقف على معرفة أخبارهم عند العرب"[4].

ومن هذا نخلص إلى أنّ للسياق المقامي مستويات، مستوى الخطاب نفسه، ومستوى المتكلم، ومستوى المخاطب ويتمثل مستوى الخطاب فيما يحمله الخطاب من معنى ذاتي ثم مقارنته في إطار الخطاب الشرعي بالحكم ثم الحِكم والمعاني التشريعية المتفرعة من هذه المقارنة، وعلى مستوى المتكلم ذكروا مقامات النبي صلى الله عليه وسلم في التعرف على المساقات التي تخرج عليها النصوص. وعلى مستوى المخاطَب أشادوا بأهمية المعرفة بعادات المخاطبين ومستويات أفهامهم وقت مجيء الخطاب.

1 يراجع المرجع نفسه ص407-411.

2 سورة النحل: الآية 92

3 سورة البروج: الآية 4

4 يراجع نجم الدين الزنكي. المرجع السابق ص 113-114

– **المبحث الرابع: المقام وأسباب النزول:**معرفة أسباب النزول له أثر كبير في فهم معنى الآية الكريمة ولهذا اعتنى كثير من العلماء بمعرفتها حتى أفرد لها بالتصنيف جماعة من العلماء بمجموعة من الكتب من أهمها أسباب النزول للواحدي وغيرها. ولمعرفة أهمية هذا النوع من علوم القرآن والتأكد من ضرورته لفهم معاني الآيات الكريمة نستطيع القول أن بعض الآيات الكريمة لا يمكن قراءتها وفهمها فهما دقيقا صحيحا إلا في ضوء معرفة سبب نزولها، لا بسبب صعوبة ألفاظها وإنما بسبب ما يمكن أن يترتب على الفهم الحرفي المباشر لهذه الألفاظ من تناقض مع طبيعة المنهج الإسلامي فمثلا قوله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ"**[1] فهنا يراودنا السؤال: ما الفرق بين "راعنا" "وانظرنا"؟ ومن ثم فما سبب منع استخدام الأولى، وإباحة استخدام الثانية؟ وما علاقة ذلك بقوله: "**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**" وهنا ما يساعدنا في زوال الاستغراب حين نقرأ سبب النزول أو حين نعرف السياق المقامي المرافق لهذا الجزء من النص فعن ابن عباس في رواية عطاء أن العرب كانوا يتكلمون بها (راعنا) فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم أعجبهم ذلك، وكان "راعنا "في كلام اليهود نسبا قبيحا، فقالوا:إنا كنا نسب محمدا سرا، فالآن أعلنوا السب لمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون: يا محمد راعنا، ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار–وهو سعد بن عبادة –وكان عارفا بلغة اليهود، وقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه، فقالوا: ألستم تقولونها؟ فأنزل قوله تعالى: "**يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا**" إن هذا التصرف بالكلمات الذي كانت تقوم به اليهود هو مفتاح فهم هذه الآية، ومن غير معرفة السياق الخارجي الذي رافق النص لم يكن ممكنا أن نفهمه[2].

وقوله أيضا: **"إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ"**[3] إنما يمكن أن نفهمه من هذه الآية أن السعي بين الصفا والمروة هو من قبيل التطوع، مع أن المعروف أن السعي ركن من أركان الحج. وإن هذا التناقض بين ظاهر النص ومفهومه الحقيقي لا يمكن تفسيره إلا إذا اطلعنا على سياق الآية الكريمة، والذي يمكن أن نقرأه فيما ترويه السيدة عائشة. وفيما يرويه أنس بن مالك وفيما يرويه عمرو بن الحسين وغيره. وفيه يقول عمرو بن الحسين: "سألت ابن عمر عن الآية فقال: "انطلق إلى ابن عباس فسله فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فأتيته. فسألته. فقال: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال أساف. وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى

1 سورة البقرة: الآية 104

2 يراجع، علي بن أحمد الواحدي. أسباب النزول. الشركة الجزائرية اللبنانية. ط1 سنة 2006 ص 26

3 سورة البقرة: الآية 158

نائلة. فزعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين. ووضعهما على الصفا والمروة ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا من دون الله. فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنين، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية"[1].

وجاء في رواية صحيح البخاري ما نصه فقال أي عروة لها أي لعائشة أرأيت قول الله تعالى: " **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** " فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئسما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت جناح أن لا يطوف بهما لكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سئلوا رسول الله عن ذلك قالوا يا رسول الله كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله الآية: "**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**" قالت عائشة رضي الله عنها وقد سن رسول الله الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما وهذه الرواية تدل على أن عروة فهم من جملة فلا جناح عليه أن يطوف بهما أن جناح منفي أيضا عن عدم الطواف بهما وعلى ذلك تنتفي الفرضية وكأنه اعتمد في فهمه هذا على أن نفي الجناح أكثر ما يستعمل في الأمر المباح أما عائشة رضي الله عنها فقد فهمت أن فرضية السعي بين الصفا والمروة مستفادة من السنة وأن جملة فلا جناح عليه أن يطوف بهما لا تنافي تلك الفرضية كما فهم عروة إنما الذي ينفيها أن يقال فلا جناح عليه ألا يطوف بهما وإنما توجه نفي الحرج من الآية عن الطواف بين الصفا والمروة لأن هذا الحرج هو الذي كان واقعا في أذهان الأنصار كما يدل عليه سبب نزول الآية الذي ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها فتدبر"[2].

وقوله تعالى: "**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**"[3] فيروي الحكم بن عمران هذه المسألة حين يقول: "كنّا بالقسطنطنية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وآله وسلّم – وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول اللّه فخرج من المدينة صفّ عظيم من الروم، وصففنا لهم صفّا عظيما من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج إلينا مقبلا، فصاح الناس فقالوا: سبحان اللّه (ألقى بيديه إلى التهلكة). فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول اللّه – صلّى اللّه عليه وآله وسلّم – فقال: "أيّها الناس إنّكم تتأوّلون هذه الآية على غير التأويل، وإنّما أنزلت هذه

1 الواحدي، المرجع السابق ص 32

2 جلال الدين السيوطي، أسباب النزول، دار الهيثم، القاهرة، ط1، 2005، ص3

3سورة البقرة: الآية 195

الآية فينا معشر الأنصار، إنّا لما أعزّ اللّه تعالى دينه وكثر ناصروه، قلنا بعضنا لبعض سرّا من رسول اللّه: إنّ أموالنا قد ضاعت، فلو أنّا أقمنا فيها، وأصلحنا ما ضاع منها، إنّ المسلمين في هذه الحادثة قد استدعوا نصّا ليحاكي سياقا جديدا ولكنّ استدعاءهم لهذا النصّ لم يكن في محلّه إذ إنّ عدم فهمهم للسياق الذي زامن النصّ جعل قياسهم خاطئا، بل هو مغاير تماما لمقصود النصّ، وفي تعبير أبي أيوب "على غير التأويل" فالنصّ يدعو إلى البذل والجهاد وهم فهموا منه عدم التضحية وحتى الجبن باسم الابتعاد عن التهلكة، وهو ما جاء سبب النزول ليوضحه[1].

5- المبحث الخامس: الصحابة وتفسير القرآن:

لقد تصدى الصحابة المفسرون لقصاص شعيب الذين كانوا يجلسون في الطرقات والأسواق والمساجد ويقصون على الناس القصص والحكايات القديمة الذي كان محورها حول السحر والكهانة والجن والحروب. ومن الأمثلة التي تبين أسلوب القصاص في مواجهة أولئك القصاص، وإرشاد المسلمين إلى ما في تفسير القصاص من خطأ ومعنى صحيح للآية. ماورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا جاءه وأخبره أنه ترك بالمسجد أحد القصاص يقص على الناس أحداث البعث والقيامة، ويفسر برأيه قول الله تعالى: "**يوم تأتي السماء بدخان مبين**"[2] ويحكي لهم كيف يظهر دخان كثيف يوم القيامة يأخذ بأنفاس الناس حتى يصيبهم منه كهيئة الزكام. ويغضب ابن مسعود لذلك، وينبه الناس إلى قاعدة أصولية هامة بقوله: "من علم علما فليقل به، ومن لم يعلم يقل الله أعلم، فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا يعلم الله أعلم "ويفسر للناس هذه الآية ويبين لهم معناها، فيذكر لهم أن حادثة الدخان ليست من حوادث يوم القيامة، وإنما هي قد حدثت بالفعل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بسنين كسنين يوسف عليه الصلاة والسلام، فأصابهم قحط شديد وجذب، وجهدوا حتى أكلوا الجلود والعظام والميتة وجعلوا يرون ما بينهم وبين السماء كهيئة الدخان من شدة الجوع والنصب والأعيان، وأنزل الله تعالى قوله الكريم: "**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11)**"[3] فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم واشتكوا له، وطلبوا منه أن يرحمهم ويدعوا الله أن يفرج عنهم ما هو فيه من الجوع والبلاء، وأن يستسقي لهم فقد هلكوا، فاستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا لهم، فأنزل الله عز

1 الواحدي، أسباب النزول ص 32

2 سورة الدخان:الآية 10

3 سورة الدخان: الآية 10-11

وجل قول الكريم: "**إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**"[1]ولكنهم لم يهتدوا، وعادوا إلى أذهانهم وطغيانهم، فأنزل الله تعالى قوله: " **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ**"[2]وانتقم منهم يوم بدر[3].

فالسياق المقامي في هذه الآية يكمن في أن الدخان المقصود هنا الجوع الذي أصاب كفار قريش نتيجة الدعاء الذي دعاه النبي صلى الله عليه وسلم عليهم حتى كان أحدهم يرى ما حوله وما بينه وبين السماء، كأنه دخان من شدة الجوع لذلك نزلت الآية الكريمة.

5-1 الصحابة وتفسير المتشابه: كان الصحابة رضوان الله عليهم يلتزمون محكم القرآن ويحذرون من الخوض في المتشابه ويبتعدون عن الجدل فيه والمراد لأن ذلك يفتح أبواب الشرور والفتن، وهم في ذلك إنما يتبعون الله ورسوله فقد حذر الله سبحانه وتعالى من القعود مع من يقتحم القرآن ويلغوا فيه ووصفهم بأنهم ظالمون في قوله تعالى: "**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**"[4]. وذم سبحانه وتعالى متبعي المتشابه ووصفهم بأن في قلوبهم مرض هو التحاق وإشعال نار الفتن فقال تعالى: "**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**"[5]. والإسلام لم يحرم دراسة المتشابهة والبحث في حقيقته بل يدعو إلى العلم به ويحث عليه. لذلك لقد كان كثير من الصحابة يسألون النبي عليه الصلاة والسلام عما يستشكل عليهم من الآيات وما يتشابه وكان النبي عليه الصلاة والسلام واسع الصدر يحييهم ويوضح لهم ما تشابه عليهم من ذلك، ومن الأمثلة ذلك: ما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها من أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى: "**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**"[6]. قالت أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "على الصراط" وسألته عن معنى قوله تعالى: "**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**"[7]، قالت فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: "على جسر جهنم"[8]ومن هذا فقد

1 سورة الدخان: الآية15

2 سورة الدخان: الآية16

3 عبد الله أبو السعود، تفسير الصحابة، جامعة القاهرة، دار ابن حزم، ط1، سنة 2000، ص 42، 40

4 سورة الأنعام: الآية 68

5 سورة آ عمران: الآية 07

6 سورة إبراهيم: الأية 48

7 سورة الزمر:الآية 67

8 عبد الله أبو السعود بدر، تفسير الصحابة، ص43-49

سار الصحابة رضوان الله عليهم على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في مسألة المتشابه فكانوا يكتشفون اللبس عن المتشابه، ومن الأمثلة على ذلك: أن رجلا سأل ابن عباس عن تفسير عدة آيات من المتشابه، وقال له: "إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي"، بدأ الرجل يذكر هذه الآيات، فذكر منها قوله تعالى: "**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**"[1]وأخيرا يسأل الرجل ابن عباس عن معنى قوله: "**وكان الله غفورا رحيما**". "وقد بين ابن عباس لهذا الرجل ما استشكل عليه من هذه الآيات دون أن يوبخه فقال له: "فلا أنساب بينهم" في النفخة الأولى، ثم ينفخ الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أما قوله: "ما كنا مشركين" "ولا يكتمون الله"، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم الله لا يكتم حديثا، وعنده "يود الذين كفروا" الآية، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يوميين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك في قوله: "دحاها وقوله خلق الأرض في يومين "وكان الله غفورا، سمى نفسه ذلك"[2].

6- المبحث السادس: مصادر تفسير الصحابة:

6-1القرآن الكريم:

أجمع العلماء على أن أهم ما يفسر القرآن هو القرآن نفسه. من ذلك قول ابن تيمية رحمه الله: فإن قال قائل: فما أحسن طريق للتفسير؟ والجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن. فما أُجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر.

ومن ذلك قول السيوطي رحمه الله: (قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن. فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر. وما اختصر في مكان فقط بسط في موضع آخر منه ومثالا على ذلك ما ورد في القرآن من قصص. فقصة موسى عليه السلام جاءت مجملة في صورة. وجاءت مبسوطة في سورة أخرى. وهكذا ومن تفسير القرآن بالقرآن: أن يحمل المجمل على المبين ليفسر به مثال ذلك قوله تعالى: "**وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**"[3] وتفسيرها في أواخر السورة. وذلك بأنه العذاب

1 سورة الصافات : الآية 27

2 عبد الله أبو سعود، تفسير الصحابة، ص 51-53

3 سورة غافر : الآية 28

الأدنى المعجل في الدنيا. قال تعالى: "**فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**"[1] ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل المطلق على المقيد. والعام على الخاص. مثالها: نفي الخلة والشفاعة على جهة العموم. قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**"[2]. فقد استثنى الله المتقين من نفي الخلة وذلك في قوله تعالى: "**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**"[3] وفي قوله: "**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**"[4]وفي هذه الآية قد استثنى ما أذن فيه من الشفاعة[5]

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن ما جاء عن ابن عباس في قوله تعالى: "**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**"[6] على حسب تفسير ابن عباس يقول: "كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه إحياءة ثم يميتكم فترجعوا إلى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه إحياءة فهما ميتتان وحياتان" واستدل على ذلك بقوله: فهو قوله: " **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**"[7] وتفسير سيدنا علي رضي الله عنه لقوله تعالى: "**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**"[8] بأن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر واستدل له بقوله تعالى: "**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**"[9]وقوله: "**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**" فالسياق المقامي هنا يكمن أو يمثل في سورة الأقحاف في قوله: "**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**" ويعني أنّ مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وبينت الآية من سورة البقرة أن مدة الرضاع عامين –أربعة وعشرون شهرا– فبقي من ثلاثين شهرا ستة أشهر للحمل.

1 غافر: الاية 77

2 سورة البقرة: الاية 254

3 سورة الزخرف:الاية 67

4 سورة النجم: الآية 26

5 محمد عمر الحاجي. موسوعة التفسير قبل عهد التدوين. دار المكتبي للنشر والتوزيع سوريا. ط1 2007 ص 190.189

6 سورة غافر: الآية 11

7 سورة البقرة: الاية 28

8 سورة الأحقاف: الآية 15

9سورة البقرة: الاية 233

6-2النبي صلى الله عليه وسلم

كان الصحابة الكرام إذا أشكل عليهم آية من كتاب الله. فلم يفهموا المراد منها. رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الله تعالى حدد وظائف الرسول. ومنها بيان ما في القرآن من أحكام ونحو ذلك قال تعالى: "**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**"[1] وأخرج أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا وإني أتيت الكتاب ومثله معه. ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن. فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه. وما وجدتم من حرام فحرموه.

ومن الأمثلة التي تدل على مدى اعتماد الصحابة على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: " ألا أعلمك سورة ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟".

وقلت: بلى.

قال: "إني لا أرجو ألا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها".

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه فجعل يحدثني ويدي في يده أتبطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها. فلما دنوت من الباب فقلت: يا رسول الله ! السورة التي وعدتني.

قال: كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة؟

فقرأت فاتحة الكتاب.

فقال: "هي. هي. هي. السبع المثني والقرآن العظيم الذي اعطيت".

مثال آخر عندما أنزل الله قوله في سياق قصة نبي الله موسى مع قومه: "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**"[2]. فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنى بقرة لا جزأتهم. في قوله تعالى: "**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**"[1]. روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رجلا سأل

1 سورة النحل:الآية 44

2 سورة البقرة:الآية 67

1 سورة البقرة:الآية 238

النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية. فقال صلوات الله عليه: كل حرف من القرآن يذكر فيه فهو طاعة.

نذكر مثالا آخر في قوله تعالى: "**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**"[2]. روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فتشهدون أنه قد بلغ. ويكون الرسول عليكم شهيدا.

6-3الاجتهاد وقوة الاستنباط: وهناك مصدر آخر في تفسير القرآن يعتمد على السياق المقامي وهو:

لأن الصحابة كانوا إذا لم يجدوا التفسير في القرآن وفي السنة كانوا يجتهدون شريطة أن يملك الصحابي معرفة أوضاع اللغة وأسرارها ومعرفة عادات العرب ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن وقوة الفهم وسعة الإدراكومن الأدلة القوية على تفاوت الصحابة في معرفتهم بأدوات الاجتهاد نذكر: هذا المثال: استعمل عمر رضي الله عنه قدامة بن مطعون على البحرين فقدم الجارود على عمر فقال: إن قدامة شرب فسكر. فقال عمر: من يشهد على ما تقول؟

قال: أبو هريرة يشهد على ما أقول.

فقال عمر: يا قدامة النبي جالدك!

قال: والله لو شربت كما يقول ما كان لك أن تجلدني.

قال عمر: ولم ؟[3]. قال: لأن الله يقول:" **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** "[4]. فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا. شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا والخندق والمشاهد. وقال عمر رضي الله عنه: ألا تردون عليه قوله؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه: إن هذه الآيات أنزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين لأن الله يقول: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ**

2 البقرة: الآية 143

3 محمد عمر الحاجي. المرجع السابق ص 193

4 سورة المائدة: الآية 93

وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[1]. وهنا يتضح السياق في أن هذه الآية "**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ**..." نزلت لا جناح على الذين أكلوا وشربوا ما حرمه الله من قبل نزول الآية الكريمة في قوله: "...**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**" لذلك عذرا على الماضين وحجة على الباقين فالسياق المقامي هنا يكمن في أن هذه الآية نزلت على الذين شربوا الخمر من قبل تحريمه وبعد تحريمه فيقول: "**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا**..." لذلك عذرا على الماضين يعني شاربي الخمر من قبل التحريم مغفور لهم ولكن بعد نزول الآية فهو محرم لذلك يقول تعالى: "... **فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**".

وقال تعالى: "... **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**"[2]. المعني الخيط بنوعيه الأبيض والأسود إذ كان يرى الصحابة أن المقصود هو الخيط الحقيقي المنسوج من القطن المصبوغ باللونين الأسود والأبيض وهذا المعنى بعيد عن المقصود الذي حسمه سبب النزول فقد ورد في تفسير الطبري أن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله فعلمني الإسلام. ونعت لي الصلوات كيف أصلي كل صلاة لوقتها. ثم قال إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود. قال: "وما منعك يا ابن حاتم. وتبسم كأنه قد علم ما فعلت. فقلت: فتلت خيطين من أبيض وأسود فنظرت فيهما من الليل فوجدتهما سواء. فضحك رسول الله. حتى رأى نواجده. ثم قال: ألم أقل لك من الفجر ؟ إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل"[3]

وعند الزمخشري أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود. فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له فنزل بعد ذلك من الفجر. فعلموا أنه إنما يعني بذلك الليل والنهار[4] أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك إلى الرسول فأنزل هذه الآية.

وسبب النزول بين المقصود من الخيط الأبيض والخيط الأسود. فالأسود هو الليل والأبيض هو الفجر. فالسياق المقامي هاهنا يكمن في أن هذه الآية فيما اختلفوا فيه من تفسير الأسود والأبيض فالأبيض هو الفجر

1 سورة المائدة: الآية 90

2 سورة البقرة الآية 187

3 الطبري أبو جعفر محمد بم جرير (2003م. 1424 هـ) جامع البيان عن تأويل أي قرآن. ط1 دار الكتب والطباعة. العراق ص 346

4 الزمخشري. محمود بن عمر (1997. 1417) الكشاف ج1 دار الكتب العلمية بيروت ص 230

والأسود هو الليل لذلك فعلى الصائم أن يصوم من الفجر إلى الليل أن يمتنع عن الأكل والشرب وكل ما هو محرم عليه أي الذي يبطل صومه[1] وقوله تعالى: " **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**" قال أبو حيان: "أسهب المفسرون في تفسير هذين الهمين ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته. وأن يوسف عليه السلام لم يقع منه الهم البتة. بل هو منفي لوجود البرهان". والمعنى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها. فلم يهم يوسف عليه السلام لأنه نبي معصوم. ومساق الآيات التي في السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف والبرهان الذي رآه يوسف هم ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله. وورد في تفسير ابن عطية في قوله تعالى: "**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ**" لا شك أن لهما زليخة كان في أن يواقعها يوسف. واختلف في هم يوسف عليه السلام ويرى القاضي أبو محمد وهذا ضعيف البتة وأن كون يوسف نبيا وقد أوتي علما وحكما ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته وهو الخاطر ولا يصح عليه مما ذكر لأن العصمة مع النبوة. وقد ذهب جمهور المفسرين من الخلف والسلف إلى حمل اللفظ على معناه اللغوي وعند الشوكاني ومجرد الهم لا ينافي العصمة فإنها قد وضعت العصمة عن الوقوع في المعصية وجواب (لولا) في لولا، رأى برهان ربه. والهم عند سيدنا يوسف غير الهم عند زليخة. والمقام نشأته في أسرة لا يتناسب معها ما يدل عليه المعنى المعجمي. وهذه الآية: "**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**" ذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروف عنه[2].

1 الواحدي. أسباب النزول ص 49

2 ابن قتيبة. محمد بن عبد الله بن مسلم. تفسير غريب القرآن مكتبة الهلال. بيروت دط. ص 177

خـــاتمة

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث نستخلص نتائج هذه الدراسة في عدة نقاط مهمة منها:

- أن نظرية السياق نظرية بالغة الأهمية في الدرس اللغوي خاصة في الكشف عن الدلالة.
- معرفة وإدراك البلاغيين للعناصر السياقية في حديثهم عن المقام في عبارتهم الشهيرة "لكل مقام مقال".
- أخذ الأصوليون كل العناصر السياقية بعين الاعتبار للوصول إلى الدلالة.
- معرفة النحويين العناصر السياقية في بعض من القضايا النحوية كقضية الإعراب.
- أن منهج دراسة اللغويين في هذا الموضوع أقرب إلى التطبيق منه إلى التنظير.
- أن الدرس اللغوي الحديث اهتم بالسياق عن طريق الباحثين اللغويين من بينهم فيرث وستيفن أولمان ومالينوفيسكي وكان مصب اهتمام لاحتلاله مكانة في علم الدلالة وخاصة عند فيرث الذي يعد رائدها فتحدث على أنواع السياق.
- تعددت أنواع السياق وكانت ذات تقسيم غربي فكلٌ قسم السياق على طريقته.
- يقسم علماء علم الدلالة الحديث السياق إلى سياق لغوي وسياق مقامي وهذا التقسيم وإن لم يكن موجودا عند الأصوليين القدامى إلا أن تقسيم صحيح داخل في الاعتبار الثاني للسياق، فإن السياق بمعنى الغرض الذي جاء له الكلام مجمع للقرائن المقامية.
- وقد أكد هذا البحث أن عد المقام ركنا من أركان دلالة السياق أمر لابد منه بالنسبة للسياق القرآني الذي كان نزوله متفرقا في الزمان من غير أن يخل ذلك بالارتباط المنطقي.
- يأتي البحث عن دلالة السياق من أن اللغة ذات طبيعة اقتصادية توظف المباني القليلة من أجل إفادة المعاني الكثيرة المتجددة، فالمباني اللغوية محدودة والمعاني غير محدودة، لذلك يلجأ البشر إلى توسيع المعاني باختلاف المسافات.
- ذكر الأصوليون في موضوع السياق إرشادات عديدة منها رفع غموض النص والوصول إلى المعنى القطعي للنص.
- للأصوليين طرق توصلهم إلى القرائن المقامية التي صاحبت صدور الخطاب الشرعي: من أهمها النقل الصحيح المقارن وغير المقترن والتشريعات السابقة واللاحقة والإجماع ومذهب الصحبي والعمل المستمر من السلف.

خـــاتمة

- للسياق المقامي مستويات، مستوى الخطاب نفسه، ومستوى التكلم، ومستوى المخاطب، ويتمثل مستوى الخطاب فيما يحمله الخطاب من معنى ذاتي ثم مقارنته في الخطاب الشرعي بالحكم ثم الحكم والمعاني التشريعية المتفرعة من هذه المقارنة، وذكروا على مستوى التكلم صفات الشارع وأهمية المعرفة بها وبأسمائه وعاداته ومقاصده، وبمقامات النبي صلى الله عليه وسلم في التعرف على المساقات التي تخرج عليها النصوص، وعلى مستوى المخاطب أشادوا بأهمية المعرفة بعادات المخاطبين ومستويات أفهامهم وقت مجيء الخطاب ومعرفة أسباب النزول والورود والعرف المقترن في فهم مساق الخطاب.
- تأثير السياق المقامي في تفسير الصحابة للقرآن الكريم بحيث أنه أولّ المصادر حيث فسروا القرآن بالقرآن، ثم كان الصحابة إذا أشكل عليهم آية من كتاب الله، فلم يفهموا المراد منها، رجعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و ذلك من وظائف الرسول، و كان الصحابة إذا لم يجدوا تفسيرا في القرآن وفي السنة كانوا يجتهدون شريطة أن يملك الصحابي معرفة أوضاع اللغة وأسرارها أي معرفة عادات العرب وغيرها من المعرفة القبلية.

وفي ختام هذا البحث اتضحت أهمية السياق المقامي في الدرس اللغوي وخصوصا في الكشف عن الدلالة حيث لا تجد المفردات في كثير من الأحيان في توضيحها وإبرازها فيكون الرجوع إلى عناصر المقام أمرا مهما، حيث يأخذ في اعتباره الظروف والملابسات التي هي المقام.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم

1. ابن منظور. لسان العرب، المجلد العاشر، حرف القاف، دار الصادر بيروت ط 1، 1990.
2. أحمد شامية، في اللغة دراسة منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ للنشر والتوزيع.
3. أحمد عزوز. علم الدلالة بين القديم والحديث. جامعة وهران رقم الإيداع القانوني 4333 -2007.
4. أحمد عمر المختار، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، سنة 1988.
5. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق ط1 .1996.
6. بدر الدين الزركشي. البرهان في علوم القران مج1 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث القاهرة ط3.
7. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة عالم الكتب ط3، 1993.
8. الجاحظ، "الحيوان"، مج3، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت.
9. جلال الدين السيوطي.الإتقان في علوم القران.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار التراث القاهرة.
10. جلال الدين السيوطي، أسباب النزول، دار الهيثم، القاهرة، ط1، 2005.
11. جيفري سامبسون. المدارس اللغوية. التطور والصراع ترجمة أحمد نعيم الكراعين بيروت ط1 1993.
12. حسين حامد الصالح، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، سنة 2005.
13. حلمي خليل. الكلمة دراسة معجمية. الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية. دط. 1980.
14. الزمخشري، الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1دار الفكر، بيروت، ط1، 1983.
15. سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد يحياتين ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية الجزائرية.
16. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب مصر، دط، سنة 1990.
17. صائل رشيدي، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2004.
18. عائشة حسن فريد، منهج البحث الدلالي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997.
19. عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني، منشورات جار الأديب.
20. عبد العزيز عتيق، تاريخ البلاغة العربية دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط1.
21. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

22. عبد الله أبو السعود، تفسير الصحابة، جامعة القاهرة، دار ابن حزم، ط1، سنة 2000.

23. عبده الراجحي. فصول في علم اللغة دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. د ط.

24. علي بن أحمد الواحدي. أسباب النزول. الشركة الجزائرية اللبنانية. ط1 سنة 2006.

25. عواطف كنوش المصطفى. الدلالة السياقية عند اللغويين. دار السياب للنشر والتوزيع.لندن.ط1 2007.

26. فندريس اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة، سنة 1952.

27. فوزي عيسى. علم الدلالة نظرية وتطبيق دار المعرفة. الجامعة الاسكندرية. ط1 سنة 2008.

28. فيرث. وثائق في اللسانيات. 1951- 1934 اوكسفورد (جامعة). المملكة المتحدة سنة 1969.

29. كريم حسام الدين، أصول التراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، سنة 2000.

30. محمد بدري عبد الجليل تصور المقام في البلاغة العربية. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.ط سنة 2003.

31. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، سنة 2000.

32. محمد سعد محمد. في علم الدلالة.الناشر مكتبة الزهراء.الشرق ط2 سنة 2007.

33. محمد عمر الحاجي. موسوعة التفسير قبل عهد التدوين. دار المكتبي للنشر والتوزيع سوريا. ط1 2007.

34. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، سنة 2004.

35. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي القاهرة، سنة 1962.

36. موريس ابو ناصر. مدخل الى علم الالسني. مجلة الفكر العربي المعاصر. مركز الانماء القومي الكويت، العدد 18/18 1982.

37. نجم الدين الزنكي. نظرية السياق : دراسة أصولية دار الكتب العلمية بيروت.ط1 2006.

38. نور الهدى لوشن. إلياذة الجزائر.دراسة دلالية دكتوراه. معهد اللغة العربية وادابها. جامعة الجزائر 1990.

39. هادي نهر، تقديم علي محمد، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط سنة 2008.

الفهرس

مقدمة .....أا

لفصل الأول: مفاهيم عامة حول نظرية.....03

المبحث الأول: السياق

توطئة

–مفهوم السياق

أ– لغة.....**04**

ب– اِصطلاحا **05**

– تعريف بنظرية السياقية **07**

– ظروف نشأة النظرية السياقية.....**08**

– المصاحبة **09**

– النظرية اللسانية للمدلول.....**09**

– مزايا النظرية السياقية.....**10**

– أهمية السياق.....**11**

– الانتقادات الموجهة لنظرية السياق.....**13**

2 المبحث الثاني : نظرية السياق عند العرب

2–1السياق عند البلاغيين :.....**14**

أ. الجاحظ.....**14**

ب. عبد القاهر الجرجاني **15**

ت. الزمخشري **16**

2–2السياق عند الأصوليين **17**

2–3السياق عند المفسرين.....**19**

3 المبحث الثالث : نظرية السياق عند الغرب

أ. فيرث.....20

ب. ستيفن أولمان.....23

ت. مالينوفيسكي.....24

4 المبحث الرابع : أنواع السياق 26

4–1 السياق اللغوي :.....27

أ. السياق الصوتي.....28

ب. السياق الصرفي.....28

ت. السياق النحوي 29

ث. السياق المعجمي.....29

ج. السياق الأسلوبي.....29

4–2 السياق العاطفي 29

4–3 سياق الموقف.....30

4–4 السياق الثقافي.....31

4–5السياق الحالي.....31

5–5 السياق الخارجي 32

2 –الفصل الثاني : أثر السياق المقامي في تفسير القرآن الكريم

1– المبحث الأول : مفهوم السياق المقامي

1–1 تعريف المقام 34

1–2تعريف السياق المقامي.....34

2– المبحث الثاني : طرق التوصل إلى السياق المقامي.....34

2–1النقل الصحيح.....34

2–2النقل المقترن بلفظ الخطاب.....36

2-3 النقل غير المقترن بلفظ الخطاب 37

3-المبحث الثالث : مستويات السياق المقامي

3-1مستوى حال الخطاب 39

3-2 مستوى حال المتكلم.....41

3-3مستوى حال المخاطب.....44

4-المبحث الرابع:المقام وأسباب النزول:.....45

5-الصحابة وتفسير القرآن:.....47

الصحابة والتفسير المتشابه.....48

6-المبحث السادس مصادر تفسير القرآن

6-1 القرآن الكريم 49

6-2 النبي صلى الله عليه وسلم.....51

6-3 الاجتهاد وقوة الاستنباط.....52

خاتمة.....56

قائمة المصادر و المراجع.....58